وجهة نظر

بقلم

محمد بن ناصر العبودي



ح مكتبة الرشد ، ١٤٢٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العبودي، محمد بن ناصر العبودي ـ الرياض، ١٤٢٨ هـ
وجهة نظر / محمد بن ناصر العبودي،
الرياض، ١٤٢٨ هـ
ردمك: ٠ـ ٦٧٣ـ ١ـ ٠ـ ٩٩٦٠
١ ـ الوعظ والإرشاد أ. العنوان
ديوي ٢١٣ ١٤٢٨/٢٧٤٢

ردمك: ٠ ـ ٦٧٣ ـ ١ ـ ٠ ـ ٩٩٦٠ رقم الإيداع: ١٤٢٨/٢٧٤٢

الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م



مكتبة الرشد ـ ناشرون
المملكة العربية السعودية ـ الرياض
شارع الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (طريق الحجاز)
ص.ب: ١٧٥٢٢ الرياض: ١١٤٩٤ - هاتف: ٤٥٩٣٤٥١ - فاكس: ٤٥٧٣٣٨١
E-mail: alrushd@alrushdryh.com
Website: www.rushd.com

فروع المكتبة داخل المملكة
الرياض: فرع طريق الملك فهد - هاتف: ٢٠٥١٥٠٠ - فاكس: ٢٠٥٢٣٠١
فرع مكة المكرمة - شارع الطائف - هاتف: ٥٥٨٤٠١ - فاكس: ٥٥٨٣٥٠٦
فرع المدينة المنورة - شارع أبي ذر الغفاري - هاتف: ٨٣٤٠٦٠٠ - فاكس: ٨٣٨٣٤٢٧
فرع جدة - مقابل ميدان الطائرة - هاتف: ٦٧٧٦٣٣١ - فاكس: ٦٧٧٦٣٥٤
فرع القصيم - بريدة - طريق المدينة - هاتف: ٣٢٤٢٢١٤ - فاكس: ٣٢٤١٣٥٨
فرع أبها - شارع الملك فيصل - تلفاكس: ٢٣١٧٣٠٧
فرع الدمام - شارع الخزان - هاتف: ٨١٥٠٥٦٦ - فاكس: ٤٨١٨٤٧٣
فرع حائل - هاتف: ٥٣٢٢٢٤٦ - فاكس: ٥٦٦٢٢٤٦
فرع الإحساء - هاتف: ٥٨١٣٠٢٨ - فاكس: ٥٨١٣١١٥

مكاتبنا بالخارج
القاهرة - مدينة نصر - هاتف: ٢٧٤٤٦٠٥ - موبايل: ٠١٠١٦٢٢٢٦٥٣
بيروت - هاتف: ٠١/٨٥٨٥٠١ - موبايل: ٠٣/٥٥٤٣٥٣ - فاكس: ٠١/٨٥٨٥٠٢

وجهة نظر


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه . أما بعد :

فإن هذا كتيب عنوانه (وجهة نظر) لأن أصله كان أذيع في برنامج: (وجهة نظر) الذي كانت الإذاعة السعودية تذيع فيه لطائفة من المتحدثين والأدباء. وتطلب من كل متحدث أن يكون حديثه محدداً بخمس عشرة حلقة لا يزيد عليها ولا ينقص منها .

وقد فعلت فأذعت منه في الإذاعة ١٥ حلقة تجدها مميزة وأكثرها مميزاً هنا بمخاطبته المستمعين وقد ضممت إليها خمسة عشر حديثاً أخرى فتم ذلك ثلاثين حديثاً قصيراً هي ما ضمه هذا الكتيب الذي استمر عنوانه رغم ذلك (وجهة

نظر) لأنه بالفعل كذلك. وقد راوحت بينها فبدأتها بحديث أذيع في الإذاعة أعقبته بحديث آخر ثم حديث آخر من أحاديث الإذاعة وهكذا .

محمد بن ناصر العبودي

الرياض

* * * *

الأول

أيها المستمع الكريم : السلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد :

فإن الإسلام دين دعوة وعمل كما قال الله تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿ **قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي** ﴾ [يوسف: من الآية١٠٨] ومعنى سبيلي : طريقي .

فكل مسلم سبيله في الحياة أن يدعو إلى الله على بصيرة .

وكما تكون الدعوة باللسان والعمل تكون كذلك بالفعل أو على الأدق تكون بالأسوة الحسنة .

فالمسلم الذي يعامل الناس معاملة كريمة تلتزم بما امر الله به من أداء الأمانة ، والصدق ،

وعدم الغش، إنما يدعو إلى الله بعمله وسلوكه الحسن.

لاسيما إذا كان يتعامل مع قوم غير مسلمين، أو مع قوم مسلمين ولكنهم ليسوا على بصيرة من أمر دينهم.

ذلك بأن كثيراً من الناس من أمثال المذكورين لا ينفذون ببصائرهم إلى ما يتجاوز أبصارهم فتراهم يحكمون على الدين من واقع ما عليه أهله من عمل إن حسناً فحسنٌ وإن سيئاً في نظرهم فسيئ.

فكم شهدنا من شخص غريب عن الدين الإسلامي وعن بلاد المسلمين جاء إلى البلاد التي يقطنها مسلمون، وكان قد قرأ في الكتب أشياء مشرفة عن الإسلام، فلما رأى ما عليه بعض عوام المسلمين من عدم التمسك بأوامر الإسلام من

حيـث المعاملـة، وحسـن الخلـق ، والحـرص عـلى المصـالح العامـة، حملـه ذلـك عـلى الـنفرة مـن الإسـلام، بل جعل ذلك يفسر ما كان قد قرأه في الكتب الإسـلامية القديمة عـلى أن الإسـلام دين نظري غير ممكن التطبيق مثل الديانة المسيحية التي عزلها أرباب الدولة في البلاد المسيحية عن الدولة، ففصلوا الدين عن السياسة، والسياسة عن الدين. مع أن الإسـلام هو دين عمل ودعوة، ودين سياسة ومعاملة ودين عبادة وتشريع.

ماذا لو أن كل واحد منا في بلادنا فكر وهو يتعامل مع الأجانب من غير المسلمين بل ومن أبناء المسلمين الوافدين على هذه البلاد بهذه الروح التي تجعله يستحضر في ذهنه أنه يحمل سمعة أبناء هذه البلاد في تعامله؟ فألان في القول في محل اللين واللطف، وأحسن المعاملة وصدق في

الحديـث، بـل بـذل جهـده في مسـاعدة الآخـرين.

وحــاول إزالــة مــا كــان علـق في أذهــان بعـض الوافدين من مفتريات عن الإسلام وأهله.

إن ذلـك سيـكـون بداية فتح جديـد في الدعوة بـالقدوة الحسـنة، وضـرب الأمـثال الطيـبة، والله الموفق .



الثاني

الملحدون ليسوا عقلاء

الدليل على أن الملحدين ليسوا عقلاء هو ما ستقرأه الآن .

لو فرضنا أن جماعة من الناس كانوا يعيشون قبل خمسمائة سنة في بلاد غير كثيفة السكان مثل بلادنا وبينما كانوا يسيرون في البرية مع طريق لم يكونوا سلكوه من قبل لاح لهم - على البعد – قصر فقصدوه يستطلعون أمره قبل أي شيء أو ربما يجدون فيه ضيافة أو ما يحتاجونه في سفرهم لم يكونوا رأوه من قبل فهذا الطريق الذي يوصل إليه لم يسلكوه قبل ذلك، ولم يحدثهم محدث عن هذا القصر .

لقـد عجـبوا مـن وجـوده ولكـن عجـبهم زال عندما قـال عـاقل منهم: ربمـا كـان هـذا القصـر لملـك من الملوك الأقوياء بناه في هذا المكان البعيد لكـي يخلـو فيه بمن يحب بعيداً عن أعين الغوغاء وعامــة الـنـاس فهــم لا يســتطيعون أن يـبلغوه ولا يهــتدون إلى مكانــه لــو أخــبرهم بــه غــير خــبير بالمنطقة ومالكها .

عـندما وصـل أولـئك الركـب مـن الـناس إلى القصـر رأوه واسعاً ذا سـور محكم مصان لا يدخل إلى القصــر مــنه إلا مــن بوابــات معيـنة وكانـت الـبوابات مغلقــة إلا أنهــم لحســن حظهــم وجــدوا واحـدة مـنها مفـتوحة فدخلـوا إلى القصـر مـنها ، وكانوا عقلوا رواحلهم خارجه .

كـان أول مـا فوجئوا به من هذا القصـر أن لـه حديقـة واسعة في الجهة التي دخلوا منها فيها نبات

مختلف ألوانه ففيها من الأشجار ما هو كثير الأوراق لا يرتفع كثيراً عن الأرض وفيها ما هو واقف وقوفاً مستقيماً كأنه الأسطوانة، وفيها أشجار لاصقة بالارض، بل لاحظوا أن في الحديقة أشجاراً شائكة ، وأشجاراً لينة الأغصان لدنة الفروع، ناعمة الملمس، أو رأوا قسما من الحديقة كأنما هو مخصص للزهور فرأوا من عجائب الزهور ما لم يكن يخطر لهم على بال سواء من حيث ألوان الزهور الذي شمل جميع ألوان الزهور التي يعرفونها والتي لا يعرفونها منها الوردي الأحمر ، إلى الأصفر إلى الأبيض إلى الأرجواني إلى القرمزي وليس تنوع هذه الزهور مقتصر على ألوانها ، بل حتى في روائحها فقد كانت تنبعث منها روائح متعددة مختلفة ، ولكنها كلها ذات شذى فواح ، ومنظر معجب أنيق .

ثم رأوا في الحديقة قسماً لاشجار الفواكه كالخوخ والرمان والعنب والمانجو والكمثرى والتين وقد أدركت بعض هذه الثمار، بل رأوا شجراً من أشجار الحوامض كالليمون ، واليوسفي وشجرة الحمر التي هي شجرة التمر الهندي الحامض وكذلك رأوا في جانب منها حقلاً من حقول قصب السكر عرفوا أن عدم سعته أن القصد منه أن يكون موجوداً هنا ، وقد سارع أحدهم من الذين يهوون مص قصب السكر فكسر غصناً ومصه فوجد طعمه غاية في الحلاوة .

ثم رأوا لعجبهم شجرة في الأرض من أشجار الحنظل الشديد المرارة وهم يعرفون نباتها حق المعرفة ؛ لأنه موجود في الصحراء ، وسارع أحدهم وهو غير مصدق أن يكون في هذه

الحديقة شجرة حنظل فلمسها ثم ذاق ما مست يده منها فوجد لها مرارة تفوق ما كان عرفه من مرارة الحنظل من قبل.

وقال أحدهم: إن صاحب هذا القصر أراد أن يجمع المتناقضات في حديقة قصره حتى تعرف قيمة الحلو المرغوب فيه عند مقارنته بالمر المرغوب عنه .

ولم يوافقه أحد منهم لأنهم كانوا مذهولين وإنما ضحكوا ضحكاً مجرداً من قوله، بل إنهم لعجبهم رأوا عنده نخلات من نخلات التمر التي يعرفونها ، لكنهم لم يجدوا فيها إلا تمراً قليلاً ولم يعرفوا السبب غير أنهم ذاقوا ذلك التمر فوجدوه حلواً حلاوة التمر التي يعرفونها.

وزاد عجبهم عندما رأوا شجرة بجانب النخلة فيها شبه منها ولكنها أرشق قواما ، وأكثر

فروعاً بالنسبة إلى ساقها وعليها ثمارها التي يبلغ حجمها حجم رأس الخروف، وقال أحدهم وهو بين الجاد والهازل : أبعدوا يا إخوان عنها ، لئلا يسقط من ثمرها شيء على رأس أحدنا فيفلقه . ولم يكونوا يعرفون أنها شجرة النارجيل المعروفة التي ثمرها جوز الهند.

وقد تسمرت أقدامهم عند منظر هذه الحديقة العجيبة ، لكن أحدهم أطل على ما خلف الحديقة فرأى مبنى القصر فناداهم قائلاً : إنظروا ، انظروا إلى ما بدأ من داخل القصر ، وقد خافوا أن يلجوا القصر لئلا يكون جنود صاحبه الذي افترضوا أنه ملك أو أكبر من الملك إن كان يوجد أحد أكبر من الملك.

ولكنهم لم يروا أحداً في القصر ، ولا أثراً من آثار أحد فيه.

دخلوا إلى بهو القصر الخارجي فرأوا فيه من أصناف الرخام والفسيفساء ما أعجبهم تنوعه، سواء من حيث الألوان، والأنواع والأحجام وكلها قد وضعت بإحكام ورصفت أبدع رصف.

ثم دخلوا إلى قاعة كبيرة في القصر فروا من أنواع المفروشات ما لم يكونوا يتخيلونه حتى إنهم رأوا فرشاً من جلود الحيوان كالنمور والأسود والظباء والأيايل، وفيها وسائد بعضها محشو بريش النعام وبعضها محشو بريش أنواع أخرى من الطير. وأما السجاد الثمين المفروش في الأرض فرأوا من أشكاله وأصنافه والزينة التي نسج بها، ما ملك عليهم ألبابهم، بعد أن كان استثار إعجابهم.

ثم واصلوا الدخول إلى القصر فوافاهم المطبخ الذي وجدوا في خزائنه أنواعاً من البهارات ما بين

حار حارق وحامض حاذق وكمون ومسحوق الليمون وما لا يعرفون من ذلك .

وفي خزانة منه أنواع السكر من سكر نبات إلى سكر معتاد إلى أنواع من الحلوى العجيبة التي لم يستطيعوا أن يمنعوا أنفسهم من تذوقها بعد أن عللوا ذلك بأنه لمعرفة طعمها ، وليس من أجل أكلها وهضمها .

وفي ركن آخر من المطبخ أنواع الحبوب من القمح والذرة والسمسم والشعير الفاخر الذي يعمل منه السويق .

وفي غرفة أخرى وجدوا خزائن حبوب الدواء متنوعة كالحلبة وحب الرشاد إلى جانب المُرّ والحلتيت والحبة السوداء – حبة البركة – والیانسون وحبة الحلوة .

وقد عجبوا حتى لم يبق في أذهانهم شيء من

العجب عندما وصلوا إلى قاعة كبيرة مملوءة بالكتب معظمها باللغة العربية وفيها شيء بالتركية والفارسية ولغة أخرى لم يفهموها .

واسترعى انتباه أحدهم كتاب كبير منها وجده قاموساً كتب على طرته أنه يشتمل على إثني عشر ألف مادة لغوية تحت كل مادة فروع من الجمل والتصريفات الفعلية والاسمية ، وقد عجبوا لكثرة ما احتواه هذه القاموس أو المعجم، بخاصة أن أحدهم فتحه فوجد مادة عن الحب والرغبة وبجانبها مادة تدل على الكره والسخط وهما متجاورتان بحكم موقعها من حروف هذا القاموس التي سار عليها بالترتيب .

ولم ينظروا إلى المعاجم الأخرى المكتوبة بغير العربية وإنما رأوا كتاباً فخماً مؤلفاً من مجلدات عديدة عن الحيوان وأنواعه ومراتبه وخصائص

كل نوع والبلاد التي يعيش فيها ذلك الحيوان .

كما وجدوا في قسم التاريخ كتب مصورات وخرائط ملونة وغير ملونة وبعضها يوضح التفاصيل الدقيقة لحدود البلدان والأقطار .

ثم رأوا قسما من المكتبة فيه كتب الشعر بعضها مخصص للحديث عن المعنويات كالحب والغزل ، وبعضها للفخر وبعضها للحماسة ، وبعضها للهجاء وبعضها للمدح إلى أن وقعت أعينهم على كتاب عنوانه: "القول الأسد في أسماء الأسد" حيث وجدوا في المقدمة أن مؤلفه يقول: إن للاسد مائة اسم . وبجانبه كتاب آخر لأسماء السيف التي هي مئات تصل إلى سبعمائة اسم وكتاب ثالث فيه أسماء الحب من العشق والغرام والهيام والشوق واللهف وقال مؤلفه : إن أسماء الحب بلغت ألف اسم .

ولكثرة ما رأوا في هذا القصر لم يستطيعوا أن يواصلوا الجولة فيه، بل جلسوا في مجلس ذي كراس وتيرة، وصاروا يسآءلون أنفسهم عمن بنى هذا القصر وجعل فيه كل هذه الأشياء الكثيرة؟

وقال بعضهم : لا شك أنه ملك من الملوك الكبار ، وقال آخرون: إنهم مجموعة من التجار الأثرياء اجتمعوا على ذلك من أجل أن يقضوا فيه أوقاتاً طيبة .

وقال قائل منهم: لماذا الرجم بالغيب لنسأل العاملين في القصر فعندهم الخبر اليقين.

وقد وافقوا على ذلك إلا أن عاقلاً منهم تساءل قائلاً: ولكن أين العاملون فيه إننا لم نر أحداً ، ولم نشاهد أي عامل فيه .

وقال أكثرهم: لنبق حتى يأتي العاملون فيه فاعترضت أقلية منهم وقالوا: نحن قوم مسافرون

ولا نــدري مــتى يــأتي العــاملون في هــذا القصــر فكيف ننتظر مجيئهم ؟

وبعد أن يئسوا من الحصول على من يخبرهم بالخبر اليقين قالوا لابد من أن نبحث نحن بعقولنا الجواب عن ذلك.

وقد بحثوا حتى أعياهم البحث، إلا أن واحداً منهم انبرى لهم قائلاً: أقول لكم الحقيقة إن هذا القصر لم يبنه أحد ولم يوجد ما فيه أحد وإنما هي المصادفة .

وقد ذهلوا لهذه العقلية السخيفة التي تفوه بها صاحبهم ، وقالوا: هذا ليس بمعقول أن توجد المصادفة هذه الأشياء المنوعة المختلفة بل المتضادة، حتى إن المعجم الذي رأيناه في مكتبته فيه اثنا عشر ألف مادة لغوية غير فروعها فكيف يكون ذلك مصادفة ؟

وقد توقف بحثهم عند ذلك الحد وحكموا على ذلك القائل بأن هذا القصر وكل ما فيه حدث بالمصادفة من دون فعل فاعل بأنه مجنون.

ولو كانوا من أهل الفلسفة العقلية لقالوا : من أين المواد التي أوجدتها المصادفة قبل أن تحدث ومن الذي أوجدها؟

وهل يعقل أن تحدث المصادفة كل هذه الملايين من الأشياء وليس واحدة وإذا قلت: إن المصادفات كثيرة أبطل قولك كون البشر لم يشاهدوا مصادفة واحدة أوجدت مثل هذه الأشياء.

إن مثل هذه الأشياء لا يوجدها إلا خالق حكيم عظيم قادر قدرة لا يتخيلها العقل، ولو كان أولئك القوم في مثل زمننا الذي اكتشفت فيه البشرية المجرات الهائلة والأكوان الواسعة

وملايين النجوم التي معظمها لا يقل حجمها عن حجم شمسنا التي تدور حولها أرضنا لأدركوا بعقولهم أن هذا لا يمكن أن يكون إلا بقدرة خلاق عليم ، وربما تلوا قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت:٥٣] .



الثالث

أخي المستمع الكريم : هل فكرت؟

إنك ستسألني – بلا ريب – عن الشيء الذي أسألك عما إذا كنت قد فكرت فيه.

ولك الحق في ذلك فأبواب التفكير واسعة وميادينه كثيرة ، بل ربما كان من أهم خصائص الإنسان التي فضله الله بها على سائر الحيوان أنه يفكر في كل شيء أو في أكثر الأشياء بل إن القرآن الكريم حث على الفكر كما قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [آل عمران: من الآية ١٩١] وقال تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الحشر: من الآية ٢١].

ولكنني أدعوك اليوم إلى التفكير في أشياء صغيرة أو أنت تعدها كذلك من ذلك مثلاً صحن الأرز الذي تأكله في طعامك كل يوم أو في أكثر الأيام.

هل فكرت من أين جاء هذا الأرز؟ وكيف استنبت؟

ربما تقول: نعم، فهو أنواع منها ما يأتي من الشرق ومنها ما يأتي من الغرب، وكأني بك تفضل منه ما يأتي من الشرق لبعض الأغراض.

ثم إن الأرز يصل إليك في بلادنا رخيصاً ميسراً قد تحملت حكومتنا السنية عنك بعض سعره بل جزءاً مهماً من سعره وجاءت إليك الدراهم التي دفعتها فيما بقي من ثمنه سهلة ميسرة أيضاً.

وهذا من نعم الله عليك التي ينبغي أن

تذكرها وتشكرها فيما تشكره من نعم الله تعالى ، فهل فكرت في الذين زرعوه في تلك البلاد؟

هل فكرت في الشقاء والعناء الذي بذلوه في سبيل تهيئة حياضه ثم في زراعته مجموعات مجموعات ، ثم في عزله وغرسه شتلات شتلات متفرقات؟

هل فكرت في أولئك في القارة الهندية مثلاً وهم يشقون تحت الشمس المحرقة ، ويغوصون في الأوحال السوداء التي قد تتقزز منها نفسك لا ينزلون أرجلهم الحافية في وسطها إلا بجهد ولا ينزعون منها إلا بجهد أكثر من ذلك ؟

وأنت قد ترى بعض الذين لا يبالون من جيرانك أو اقربائك لا يلقي بالاً لكل ذلك بل يسرف فيما يصنع منه ، ويقدم أضعاف أضعاف

ما يحتاج إلى أكله من يقدم إليهم فتكون النتيجة كما تكون في كل إسراف وتبذير نهى الله عنه، أن رميه في أوعية النفايات ، وتلقي به كما يلقى بالزبالة ناسياً العرق الذي بذل فيه منذ أن هيئت الأرض له حتى وصل إليك .

ذلك العرق الذي لو كان يجمع في تلك البلاد الحارة اللاهبة ربما كان قد اجتمع في كل صاع منه صاع يساويه .

وتكون بذلك قد عرفت نفسك إلى أن تكون من المسرفين وجعلت نفسك فعلاً من غير المتزنين المقدرين .



الرابع

ويسألونك عن الروح ؟

يتألف ابن آدم من جسم يرى ويحس وتعرف حركاته وسكناته ومن شيء آخر لا يرى ولا يحس بالإحساس المادي وإنما ترى آثاره ويُحس بفعله .

ولا يجوز لعاقل أن يقول إن ما لا يرى لا يمكن التسليم بوجوده . ومن قال ذلك قلت له : إن هذا يناقض الواقع في أمور كثيرة ، فقد قال أناس قبلك مثل ذلك . وتبين للذين جاءوا من بعدهم أن هناك أشياء لا ترى في أجسام بني آدم ولكن يحس بآثارها تبين للمتأخرين أنها موجودة وأنها ذات حياة واضحة لها نظام خاص وهي

الجراثيم والفيروسات .

وهـناك شـيء آخـر عـرف في هـذا العصـر الحديـث وهـو الكهرباء فهـي لا تـرى ولا يعـرف كنهها وإنما ترى آثارها ويحس بوجودها ، وينتفع الناس منها .

ولـو قـال قائل: إن الكهرباء غير موجودة لأنها لا تـرى ولا تـلمس منفصلـة بالـيد ، ولا يحـس بهـا الإنسـان كمـا يحـس بالماديـات لعـد مجـنوناً مـن المجانين.

فمـا بـال النـاس يقولون مثل ذلك في الكهرباء ولا يقـول بعضـهم مـثل هـذا القول في الروح . ونحن لا نقـول إن الـروح كالكهـرباء فضـلاً أن نقـول: إنهـا جـزء مـنها أو مماثلـة لهـا ، وإنمـا نمـثل ذلـك تمثيـلاً بشيء لا يرى ومع ذلك هو موجود ترى آثاره ويحس بها كما يحس بالماديات.

سمعت كلاماً لأحد الملحدين يقول: إنه كان وهو طالب في كلية الطبّ يبحث في جسم الإنسان الميت عن الروح فلم يرها ولم ير ما يدل على وجودها .

فقلنا له ولأمثاله: إنك كمن يأتي إلى حاشدة الكهرباء سواء أكانت صغيرة أم كبيرة ، فيفتش فيها عن الكهرباء من أجل أن يلمسها وإن يشاهدها كما يشاهد الماديات ، وهو لن يجدها لأن طبيعتها أن لا ترى، إنما يحس بآثارها .

وأما البحث عن آثار الروح في جسم إنسان ميت فهو كالبحث عن الكهرباء في حاشدة فارغة منها .

مرة أخرى نقول ونكرر القول: إننا لا نزعم أن الروح كالكهرباء ولكننا نمثل للأمر تمثيلاً يقرب موضوعها إلى العقل والتصور مع اعترافنا

بالعجز عن الوصول إليها فضلاً عن تصور حالها .

قال الله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الإسراء:٨٥] فأقر القرآن الكريم التساؤل عن الروح لأنه تساءل معقول مقبول كان يشغل البشرية في فترات كثيرة من عمرها ولا يزال، فقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ ولكن الجواب قد أبقى الأمر على ما هو عليه من الإبهام وعدم الوضوح لحكمة يعلمها تعالى فقال: ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ .

الأمر هنا ليس معناه ما يقابل النهي وإنما معناها الشيء المبهم الذي لا يعرفه الآدميون لأنهم كما قال تعالى : لم يؤتوا من العلم في كثير من الأشياء إلا قليلاً.

أمـا الجـزء المعجـز في هذه الآية الـكـريمة التي نـزلـت عـلى رسـول اللّه ﷺ قـبل أربعـة عشـر قـرنـاً وكـــان الفلاسـفة المـــاديون ومدعـو العقـل الـــذي يبحـث فـيما وراء المـادة خـارج إطـار الخبر الشـرعي يقولـون إنهـم وصلوا إلى الغاية من المعرفة والعلم أو قاربوا ذلك .

حتى بعض المسلمين القدماء الذين قرأوا هذه الآيـة الـكـريمة لم يكـونوا يتصـورون أن ما كـانوا وصلوا إليه من العلم بالـكون والحياة بل في الأمور الماديـة هـو قـليل عرفـنـا أن عـلمهم ذلك بهذه الأمور الـتي لم يـرد فـيها وحـي سمـاوي هـو أقـل القـليل بالنسـبة إلى مـا وصل إليه علم البشرية الآن بإرادة من الخالق عز وجل بل بهدايته وتيسيره .

ولا شـك في أن ذلـك علـى كـثرة العـلم وعظيم خطـره لـيس إلا قـليلاً مـن عـلم الله الـذي لم يـؤت بـني آدم علمه حتى الآن . ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ صدق الله العظيم .



الخامس

بسم الله والحمد لله :

والسلام عليك أيها المستمع الكريم، أما بعد:

لو كان لي من الأمر شيء نظرت في أمر مهم من أمور هؤلاء الإخوة والأبناء من السعوديين الذين يسافرون إلى خارج هذه البلاد .

ذلك هو أن أذكرهم بأنهم يسافرون وهم يحملون في أكفهم وبين طيات أعمالهم سمعة هذه البلاد بل سمعة الدين الإسلامي الحنيف الذي شرف الله أهل هذه البلاد بأن جعل في بلادهم مهبط الوحي، ومنطلق الهدى إلى جميع أركان الأرض.

لو كان لي من الأمر أمر أستطيع أن أفعله

أكـثر مـن أن أذكـرهـم بوساطة هذا المذياع لقلت لهـم: إنـكـم لستم كـأهل الشـرق أو أهل الغرب من أهـل المذاهـب الـكـافرة بالنسبة إلى الواجب عليهم نحو مذاهبهم .

أنـتم أمـة وسـط بمعنـى عـدل خيار ، وعليـكـم أن تتصـرفوا كـمـا يتصـرف الأخيار وعليـكـم على مسـتوى الأفـراد أن تعملوا أولاً بـالعدل في أنفسـكـم حتـى تسـتطيعوا بعـد ذلـك أن تحـكـموا بـالعدل بين النـاس .

إنـكـم تذهـبون إلى البـلاد الأجنبية سـائحين أو تجاراً أو طـلاباً للعلم أو حتى مستشفين متعالجين . وهـذا أمر طبيعي ، ومن حقـكـم أن تفعلوه ولـكـن الأمـر الطبيعي الذي من حق أمتـكـم الإسـلامية أن تطالـبـكـم بـه أن تـتـذكـروا أن الـنـاس يـنظرون إلـيـكـم كـمـا يـنظرون إلى الـنماذج الـتي تمـثل

الإســلام وأهلـه فتحصـى علـيكم حـركاتكم وسـكناتكم وتـنظر إلى أفعـالكم وأعمـالكم كما تنظر إلى افعال الخاصة من الناس .

وإنـه لمـن حق أولـئك الأجانـب عـن الإسـلام أن يفعلوا ذلك ، لكونهم لا يتصورون الإسلام إلا من خلال أعمالكم أنتم.

فـإذا رأوا شخصـاً منتسـباً إلى الإسـلام مقارفـاً لما لا يجيز لـه دينه أن يفعله ، فإنهم يفسرون ذلك تفسـيراً لـيس في صـالح الدعـوة إلى الإسـلام ، بـل يكـاد يقـول الواحـد منهم بلسـان مقالـه أو بلسـان حاله:

انظـروا إلى هـؤلاء القـوم الذيـن يطلـبون منـا أن نتـبعهم عـلى ديـنهم وهـم لا يحـافظون عـلى تعالـيم ذلك الدين أو يقول ﴿لَوْ كَانَ خَيْراً مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الاحقاف: من الآية١١] .

لو كان لي من الأمر شيء لذكرت أولئك المسافرين بهذا الأمر ولو احتاج ذلك إلى طبع منشور أو كتيب صغير أرفقه بتذكرة كل مسافر إلى الخارج تبصرة وذكرى . والذكرى تنفع المؤمنين.



السادس

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾

ذكر المفسرون الأولون لهذه الآية الكريمة ما عرفوه من دقيق صنع الله ولطفه ورحمته في أنفس بني آدم ما لبثوا قروناً يبحثون ويسجلون ذلك أو بعض ذلك فرأوا أن الغذاء الذي يأكله الإنسان رغم كونه واحداً فإن جزءاً منه يذهب إلى المخ ويتحول إلى مخ أو إلى مادة تغذي المخ وآخر يذهب إلى العينين وآخر إلى العظام حتى الشعر والظفر ذكروا ن من العجب أن يغذيها الطعام رغم اختلافها عن بقية الجسم المؤلف في أكثره من لحم ودم .

وذكروا من عجائب صنع الله في ابن آدم

ولابن آدم النطفة الضعيفة التي ذكر القرآن الكريم أنها ماء مهين تتحول في أطوار مختلفة حتى تصبح جنيناً فيه البصر والسمع والعصب والعظم والشحم واللحم والهلام الذي هو بين ذلك.

وذكروا أعظم من ذلك أنه حين يولد يكون ضعيفاً غير عاقل لا يعرف من حوله شيئاً ولا يهتدي إلى اتقاء الضار أو تحصيل النافع ولكن الله سبحانه جعل في والديه عاطفة الشفقة والرحمة والعطف والحنان له حتى صارا يقدمانه على النفس وعلى الأم والأب في كل شيء.

أليس في ذلك آية واحدة بل آيات عظيمة كما قال تعالى : ﴿**وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾ **(الذاريات:٢١)** حتى إذا اكتمل نمو جسمه بعد أن كان ضعيفاً عاش فترة من عمره شاباً قوياً ، ثم رجلاً سوياً ثم بدأ ينقص خلقه ويضعف جسمه

حتى يرد إلى ارذل العمر، وإذا فقد الذاكرة صار كأن لم يعلم بعد علم شيئاً .

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (الروم:٥٤).

وقال تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مَنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ (الحج: من الآية٥).

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾

(الذاريات:٢١).

ونلاحظ أن القرآن الكريم لم يقل وفي أجسامكم أفلا تبصرون مع أن في الأجسام عبراً وعجائب بل معجزات من خلق الله تعالى وإنما قال (وفي أنفسكم) فيشمل ذلك الجسم والروح، والعقل والتفكير.

أليس وجود العواطف الجياشة في الإنسان من الحب حتى العشق ومن الكره حتى نهاية البغض ومن الفرح والترح حتى إن بعض الناس يبلغ به الفرح أن يكون أداة لفرح غيره ففرحه وطيب عاطفته لا يقتصر عليه وحده .

وبعضهم يكون بعكس ذلك، أليس ذلك من آيات الله ؟

وإذا عدنا إلى التبصر في جسم ابن آدم الذي ذكر الأولون من عجائب خلقه ولطف تركيبه وغرائب الصنعة الإلهية فيه الشيء الكثير رأينا أهل هذا العصر قد أوتوا من العمل بذلك ما لم يؤت الأولون فعرفوا وظائف الجسم أو أكثر وظائفه ورأوا من عجائب صنع الله في أن مضغة من اللحم صغيرة هي الكلية لا يقوم مقامها إذا تعطلت إلا غرفة كاملة مجهزة بأجهزة هائلة

الحجم غاية في التعقيد مع ذلك لا تقوم بالضبط بما تقوم به الكلية الصغيرة التي هي من لحم يجري فيه الدم ، فهي تمنع أمراضاً كثيرة تحدث لمن يستعمل هذه الغرفة الضخمة المسماة الكلية الصناعية التي تغسل الدم من الشوائب بديلة عن غسل الكلية لتلك الشوائب الذي يتم بسهولة وصمت فيما يراه ابن آدم لأنه لا يحس بذلك الغسل و لا تنقية الدم .

وما الكلية إلا مثالاً واحداً على عدد من الأعضاء المهمة للجسم كالكبد والقلب ذاته وحتى الطحال والمرارة .

وعرف المتأخرون أيضاً من أمراض جسم الإنسان بالتفصيل ما لم يعرفه الأولون فصدق عليهم قوله تعالى: ﴿**وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾ (الذاريات:٢١)

ثم هذه المخلوقات التي تغزو جسم الإنسان وتصيبه بالضرر من الجراثيم المجهرية الدقيقة التي بعضها قاتل للإنسان وبعضها مسالم له بل صديق له يعايشه في أمعائه وفي غيرها طيلة حياته، بل ويساعد على هضم الطعام والانتفاع منه .

وقد تبين العلماء بما أعطاهم الله من علم، ومن وسائل مكنتهم من الزيادة من العلم بجسم الإنسان أن الجراثيم هذه هي أنواع لا حصر لها يختلف شكلها ويختلف أثرها وتأثيرها في جسم الإنسان .

وعندما ظنوا أنهم قد أحاطوا بالمخلوقات الدقيقة التي تغزو أجسام بني آدم ولم يعرف الأولون عنها شيئاً بدأوا يعرفون نوعاً آخر من الجراثيم وهي المخلوقات الدقيقة التي تخالف

طبيعتها طبيعة الجراثيم التي عرفوها فلا يقتلها ما يقتل تلك ولا يمكن اتقاء شرها بما يتقى به شر تلك .

ألا وهي (الفيروسات) الدقيقة التي لا ترى بالمجهر المعتاد وإنما تحتاج رؤيتها إلى مجاهر أدق وأكبر وأوضح من المجاهر التي ترى بها الجراثيم.

وبدون ذلك لا ترى وإن كانت تحس آثارها فكأنها الجن الذين يرى الإنس آثارهم ولا يرونهم ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: من الآية٢٧].

وتستمر الآيات والعبر في اكتشاف الخبايا في جسم ابن آدم حتى يصل الأمر إلى البصمة الوراثية التي هي الحمض النووي الذي يختلف في كل شخص عن الشخص الآخر وإن كان الأقربون نسباً يتقاربون فيه.

وما زالوا وقد اكتشفوا المورثات في البصمة الوراثية وما يتعلق بها يكتشفون أموراً خرى مما يحير العقول ويدفع المؤمن إلى أن يتلو الآية الكريمة ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات:٢١) صدق الله العظيم .





السابع

السلام عليكم ورحمة الله أما بعد :

فإن المكتبة في البيت هي زينته وهي إلى ذلك بستانه الذي يتنزه فيها الطرف والعقل .

بل هي مستودع المعارف والعلوم فيه. وهي ديوان الوقائع والحوادث التي سجلها الأقدمون والمحدثون .

وهي إلى ذلك مستودع لا ينفد فأنت تأخذ منه ما تشاء من دون أن يخرج منه ما تأخذ .

وهي أيضاً السلعة التي تزيد جدة مع الاستعمال ، بل تزداد قيمة على مر الزمان.

ولذلك كان أسلافنا من المسلمين في زمن ازدهار الحضارة العربية أعظم الأمم على الإطلاق بالنسبة إلى ما خلفوه من كتب ، وما دونوه من

مؤلفات.

ولا تزال مكتبات العالم تزخر بالمخطوطات والوثائق العربية المهمة فضلاً عن الموجود في المكتبات الخاصة .

وقد تيسر الحصول على الكتب في الوقت الحاضر بتيسر الطباعة والنشر وبما أفاضه الله سبحانه وتعالى من مال على بعض العرب والمسلمين.

إلا أننا لم نرهم قد انتفعوا من ذلك بشراء الكتب وانتقاء النافع منها إلا بالقليل، ويمكن معرفة ذلك بالمقارنة بما يبذل من أسباب الزينة في البيوت الحديثة فقد يسهل على صاحب البيت أن يجهزه بالأسقف المستعارة والمظاهر البراقة ما قد يكلفه عشرات الآلاف من الدراهم ولكنه لا يجهزه بمكتبة لا تكلفه أقل من ذلك بكثير.

والسبب في ذلك أنه قد يجد من يطرون له هذه المظاهر في البيت أكثر في العدد ممن يمدحون فعله في إنشاء مكتبة خاصة فيه. إضافة إلى أنه هو نفسه ليس من محبي المكتبات ولا من الحريصين على النظر في الكتب .

مع أن حب المعرفة والاطلاع مغروس في جميع النفوس وإن كان مقداره يتفاوت بتفاوت الأشخاص .

وعلى المسئولين عن الثقافة أن ينموا حبّ الاستطلاع ومحبة قراءة الكتب في نفوس الطلاب الصغار حتى يألفوا اقتناء الكتب والرجوع إليها لتمضية أوقات الفراغ في المطالعة المفيدة ولاستخراج المسائل منها .

وحسناً فعلت وزارة المعارف في إنشاء المكتبات المدرسية وتعميمها . لقد كان بعض

اسلافنا من المسلمين يلاقون عناء في الحصول على الكتاب بسبب ضيق ذات اليد ، أو بسبب عدم وجود الكتاب المطلوب في متناول أيديهم فكانوا يبذلون في ذلك ما يعد أمثلة باقية على الدهر في الحرص على المعرفة والسعي للفائدة العلمية من ذلك ما حكي عن بعضهم من أنه كان يبذل شيئاً من المال لبعض الوراقين وهم باعة الكتب في ذلك الزمان، لكي يغلق بائع الكتب عليه باب حانوته بعد صلاة العشاء ويتركه وحده مع الكتب، يطالع وينسخ إلى أن تحين صلاة الفجر فيأتي إليه ويخرجه ويقبض اجره .

وكان بعضهم إذا سافر يحمل معه الكتب على ظهور الجمال مسافات طويلة .

هذا فضلاً عن الذين كانوا يضنون بالكتب

عـن أن تـباع ولـو مسـهم الجـوع فـأين نحـن مـنهم؟ ولمـاذا لا نسـتمتع بمـا يسـر الله لـنا مـن أسـباب المعرفة والعلم ؟



الثامن

طاعون العصر

سمى بعضهم مرض (نقص المناعة المكتسب) المعـروف عالميـاً بـالإيدز وبالفرنسـية (السـيدا) بطـاعون العصـر وهـي تسـمية فـيها مـا فـيها إذ الطـاعون اشتق لفظه من الطعن بالرمح أو السيف أو نحوهمـا ولذلـك ورد في الحديـث (إن الطـاعون رمـاح إخوانكم من الجن) والطعن بالرمح لا يمهل صاحبه وقتاً طويـلاً، بل يميته ميتة سريعة ولذلك يعـرف مـن الطـاعون أنـه لا يمهـل مـن يصـيبه إلا أوقاتاً قصيرة حتى يهلكه .

أمـا (الإيـدز) فإنه يطاول من يصيبه حتى يمتد ذلـك لعدة سنوات وهـو يعمـل في جسـمه تخريباً أو

ينتظر الفرصة السانحة لتخريبه.

وتخريبه أمر عجيب وذلك لأنه يهاجم جهاز المناعة الذي مهمته أن يحرس بدن الإنسان من الميكروبات والجراثيم ، بل وبعض الفيروسات حتى يقضي على جهاز المناعة وإذا فعل فيروس الإيدز ذلك ترك جسم ابن آدم كالقصر الذي قتل المهاجمون حراسه فصار نهباً لكل مغير أو معتدٍ، والمغيرون والمعتدون هم الجراثيم والفيروسات الأخرى التي لا تجد أمامها من يمنعها عن غزو ذلك الجسم أو حتى يقف في وجهها لبعض الوقت لأن (الإيدز) يكون قد خرب مناعة الجسم ضد الأمراض وأبقاه بدون سلاح ولو كان الإيدز يفعل كما تفعل بعض الجراثيم والفيروسات فيقضي على المريض بسرعة لكان في هذا اختصار لمعاناته ولكنه يطاوله،

وتطاولــه الجراثـيم والفيروسـات والأورام حـتى تقضي عليه شقياً حزيناً بعد معاناة طويلة .

ولم يجـد الأطـباء لـه دواءً شـافياً حـتى الآن وإنما وجدوا بعض الأدوية التي تؤخر موت المصاب بـه لمـدة أطـول أو تخـفـف مـن معاناتـه مـن المـرض بعض الشـيء .

والشـيء المهم في موضوع الإيدز أن البشرية لم تعـرفه مـن قـبل ، وقـد أرخ الأطـباء أول إصـابة بـه معروفة بأنها في ٥ يونيو من عام ١٩٧٩م .

وهـذا يبعـث علـى الـتفكير والتسـاؤل عمـا إذا كـان ذلـك الفـيروس موجـوداً مخلوقـاً مـثل مـا وجـدت الفيروسـات الأخـرى الـتي عرفـت قـبله ، ولـكـنه لم يسـلط علـى الـناس إلا في هـذا الـتاريخ وما بعده .

وهـذا إذا كـان صـحيحاً فإنـه عجيـب، أم أنـه

لم يخلق أصلاً ولم يكن موجوداً إلا بعد تاريخ الإصابة التي أصاب بها الإنسان وهذا أعجب.

لا شك في أن المسلم إذا قرأ الحديث الذي معناه أنه ما فشت الفاحشة في قوم إلا أصيبوا بأمراض لم تكن معروفة فيمن قبلهم ، ويروى إلا أصيبوا بأمراض لم تكون موجودة في آبائهم .

فهل الإيدز مرسل من رب العالمين عقاباً على أقوام من البشرية فشت فيها الفاحشة بل تكاد تقول: عمت فيها الفواحش حتى لم يبق أحد منهم بعيداً عنها ؟

والأدهى من ذلك أن أولئك الأقوام صاروا لا يستنكرون تلك الفواحش بل يعتبرونها أمراً طبيعياً معتاداً .

ولو تبصروا الأمر لعرفوا أنها ليست أمراً طبيعياً لأنه نشأ عنها أن صارت أقطار من تلك

الأقطـار الـتي فشـت فيهـا الفـاحشـة تنقص أعدادها بعـد أن كانـت تـزيد وهـذا أمـر مفهـوم السبب لأن الـزوجين يجـدان مـا يتطلبـه كـل واحـد منهمـا لدى الآخـر وأكثـر منـه عن غير طريق الزواج الذي تلـزم منـه الـتزامـات علـى الـزوجين ، حتـى إن المرأة ترث نصـف ثروة زوجها إذا مات وهي في عصمته حسب أكثر قوانينهم.

ثم إن إعطاء المرأة الحرية كاملة في أن تذهب إلى أي مكـان تـريد وأن تـرافق مـن تشـاء جعـل الـرجل الـذي لابـد أن لـه خبرة بالنسـاء يحجـم عـن الـرغبـة في إنجـاب الأولاد لأنه لا يثق أن الولد الذي جاءت زوجته به هو منه حقاً.

ثم لمـاذا يتعـب نفسـه في الإنفـاق علـى الأطفـال والعنـايـة بهـم وهـو يعلـم أنهـم لا ينفعونه في أخريات عمره عندما يكون محتاجاً إلى نفعهم ؟

وشـــيء آخـر بـل أشـياء أخـر تجعـل الـناس لا يقبلون على الزواج ، وحتى إذا تزوجوا لا ينجبون .

وكـل هـذا نتيجة لشـيوع الفواحـش واعتبارها أمراً معتاداً مسلماً به.

وربمـا كـان (الإيـدز) هـو مـن العقـاب الـذي توعد به مَنْ شاعت الفواحش بينهم.



التاسع

أيها المستمعون الكرام : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

مزيداً من التفكير أيضاً :

وما دمنا في معرض الحديث من وجهة نظرنا عن التفكير فإنه لا مانع من أن نكمل حديثنا عن التفكير في الأرز، وقد عرفنا أو تصورنا مبلغ العناء والشقاء والعرق بل ربما الغرق في بعض الأحيان الذي يعانيه بعض زراع الأرز عند زرعه، وبعد ذلك حتى يصل إليك .

فلماذا لا نفكر فيه من زاوية أخرى إنها الزاوية العلمية اللغوية والتاريخية لماذا لا نفكر في اسمه الأرز أهو عربي الأصل أم أعجمي وإذا كان أعجمياً فإلى أي لغات العجم ينتمي؟

ثم ما هو موطنه الأصلي من العالم؟ ومن هي الشعوب التي تتخذه غذاءً رئيسياً لها ؟ إن ذلك إذا فكرت فيه سيحملك على أن تبحث في الكتب من دوائر المعارف إلى معاجم اللغة إن كنت تحسن استخراج المعلومات منها ، فإن لم تكن كذلك وأصررت على هذه المعرفة فإنك يمكنك أن تسأل أهل البحث عن ذلك.

والنتيجة في كلتا الحالتين هي البحث عن المعرفة وشغل الوقت والذهن بالنافع المفيد .

ومبعث ذلك هو المزيد من التفكير .

ولك بعد ذلك أن تسترسل في تفكيرك متخذاً من كلمة الأرز مثالاً يحتذى وقد يؤدي بك الأمر إلى طلب المزيد من العلم والمعرفة في نواح أخرى مهمة ، وقد تسمو همتك إلى أن تعرف من معاني القرآن الكريم ما لم تكن تعرفه ، أو من شروح



أحاديث الرسول ﷺ ما يجعلك من الباحثين عنها والمستفيدين منها في المستقبل.

وقد يقودك ذلك إلى أن تعرف من حكم الشريعة وأسرار العبادة ما يجعلك منشرح الصدر لأداء الواجب منها ، بل ربما يؤدي بك الأمر إلى أن تبلّغ ذلك لمن لا يعرفه من اصحابك وأقاربك وربما من لا تعرفه أيضاً – تكون بذلك قد أديت واجباً دينياً في الإبلاغ .

وذلك كله حسب طاقتك ، وفي نطاق إمكاناتك العلمية والعملية ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلا وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: من الآية٢٨٦] .

أما ما عجز فهمك عن إدراكه وما وقف بحثك دونه فإن عليك أن تسأل أهل الذكر كما قال تعالى : ﴿**فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل: من الآية٤٣]

وقاك الله شر الزلل والخطل ووفقك إلى الصواب في القول والعمل.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



العاشر

طفولة البشرية

قال الله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾ [الكهف:٥١] فالبشر لم يعرفوا كيف خلقوا إلا بطريق الوحي الذي لا يؤمن به بعضهم أما إذا حكموا عقولهم المخلوقة المحدودة الإدراك فإنهم يعرفون أنهم لا يعرفون كيف خلقوا ولا لم خلقوا ولا متى خلقوا ولا يعرفون أيضاً مصيرهم أي مصير البشرية كلها وما إن كانت نهايتهم على هذه الأرض يوم القيامة طبقاً لما أخبرهم الوحي بذلك أو يوم تستنفد الشمس وقودها فتتضخم وتكبر حتى

تلف الأرض بردائها الحار وإن كانت لن تجد فيها إلا أحجاراً وهياكل ميتة لأن البشر يكونون قد فنوا فيها ، منذ أن اختل نظام الشمس بأن نفد وقودها وهو أمر يعرف عقلاؤهم أنه لابد أن يحدث وإن لم يعرفوا متى يكون ذلك .

لأن الشمس تفقد في كل يوم بل في كل ساعة ، بل في كل لحظة جزءاً من وقودها الذي هو ذاتي منها تحفظه عليها جاذبيتها العظيمة من أن يتبدد في الفضاء ويصهره الضغط الجهنمي فيها إلى مركزها ثم يخرج بقوة الضغط والانفجار إلى خارجها .

ويومئذ يتمثل الناس الذين لن يبقى منهم على الأرض أحد بقوله تعالى : ﴿**فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ❖ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ❖ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ❖ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ❖ كَلَّا لَا وَزَرَ**﴾

(القيامة:٧-١١) أي لا مهرب ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ (القيامة:١٢) فهل يعني فناء ذلك فناء البشرية؟

لا شك إذا طبقنا المقاييس التي نعرفها الآن ، لأن الأرض لن تعود صالحة لسكن البشرية .

غير أن هذا لا يعني – حتماً – عدم وجود مكان للبشرية أو لبعضها في أماكن من الكون الواسع بل في أرض غير هذه الأرض التي نحن فيها الآن مثل الأرض الضخمة التي سيحشر فيها الناس يوم القيامة ، وهي غير أرضنا هذه بصراحة القرآن الكريم ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [ابراهيم: ٤٨] وتأمل قوله تعالى والسموات أي السموات تبدل لأن تلك الأرض الواسعة الضخمة التي تتسع لحشر البشرية كلها تكون أعظم بل

أكبر من أرضنا هذه ولذلك لا تناسبها سموات هذه الأرض التي نحن فيها الآن وإنما تبدل تلك السموات بسموات أخرى .

وقد عرف الناس الآن بواسطة المجاهر الكبيرة سعة الكون ورحابته ووجود ملايين النجوم التي لابد – عقلاً – أن يكون لبعضها توابع من الكواكب المناسبة لها ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هو**﴾ (المدثر: من الآية ٣١).

وقد يفسر ذلك بأن يتيسر للبشرية أو بعضها أن تهاجر من هذه الأرض التي نحن فيها الآن إلى أرض أو أراض في الكون الواسع قبل أن تخرب خرابها المتيقن أو خرابها الساحق غير المعروف المعبر عنه بقيام الساعة .

ويومئذ يكون معنى الآية الكريمة ﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً**

أُخْـرَى﴾ [طـه:٥٥] بأنـه خـروج مـن هـذه الأرض في حياة بعض بني الإنسان إلى أراض أو عوالم أخرى من الـكون الفسيح ، وليس خروجاً من القبور إلى الحشـر كما فهـم الأولـون الـذي لم تـكـن العلـوم والمعـارف في وقتهم تسـاعد علـى فهم ذلـك، ونعود إلى العنوان وهو (طفولة البشرية) .

فالبشـرية لم تعـرف عـن غـير طـريق الوحـي بكيفـية الخلـق وهـو البداية ولا بكيفـية الـنهاية ومـع ذلـك نجـد بعضها يتطاول على الخالق العظيم فينـكر وجوده، أو ينـكر بعض ما أنزله من وحي على رسله .

ومـا مثلهم في ذلك إلا مثل الأطفال الذين نجوا مـن السفينة الغارقة وقصتهم أن سفينة في العصور القديمـة كانـت محملـة بـأعداد ضـخمة من النـاس معهـم أطفـالهم ونسـاؤهم فهاجـت بهـا ريـح شـديدة

تيقن ربان السفينة أو ربابنتها أنها ستغرق وكانوا أعدوا لهذا الأمر عدته وذلك بأن خصصوا قوارب جيدة محكمة للنجاة بالصغار الذين لا تتجاوز أعمارهم السنتين فملأوا قاربها بهم فكان عددهم فيه نحو الخمسين وأركبوا معهم امرأة واحدة اختاروها بالقرعة لتقوم على شؤونهم إلى حين، سار القارب في البحر على غير هدى تتقاذفه الأمواج وتلعب به الرياح الهوجاء لعدة أيام حتى أرست به الريح على شاطئ جزيرة أسرعت المرأة بربطه إلى جذع شجرة كبيرة ذات ظل بعد أن أنزلت الأطفال.

وكان الطعام الذي في القارب قد نفد فصارت المرأة تبحث عن طعام حتى وجدت ثماراً من ثمار بعض الأشجار بل ووجدت اللحم في فراخ طيور وبيضها كانت تجعله على الأرض لأنها آمنة

من أي ضرر يلحق به وحتى صغار بعض الحيوان الموجود في الجزيرة الحديث عهد بالولادة وبقي الأمر على ذلك نحو أسبوعين أو ثلاثة إلا أن المرأة ذهبت إلى شاطئ آخر في الجزيرة تحيط به مياه عميقة فزلت حصاة كانت اعتمدت عليها ووقعت في البحر وغرقت لأنها لا تحسن السباحة .

بقي أولئك الأطفال في الجزيرة وحدهم لا يملكون من أمرهم شيئاً ولكن الجزيرة واسعة عامرة بالأشجار المثمرة من أشجار الفاكهة، وفراخ الطيور التي كانوا يأكلونها نية، إذا عضهم الجوع بنابه.

واهتدوا أخيراً إلى طريقة يصطادون بها السمك في البحر فكان الواحد منهم يأخذ عصا قوية من الشجرة مدببة الرأس ويضرب بها السمكة في المياه الضحلة فإذا كانت ضربته

قوية أعاقت السمكة عن الحركة فأخذها وأكلها .

وقد وجدوا في الجزيرة نوعاً من المخلوقات الرخوة التي تشبه الدود وأنواعاً من الأشجار لها جمار أي مادة رخوة جيدة فصاروا يأكلون منها بحكم الحاجة والاعتياد ثم عرفوا نوعاً من النبات الذي كان نابتاً فطرياً ويشبه حبه حب الذرة فكأنما وقعوا على كنز فصاروا يطلبونه في الجزيرة ويأكلونه.

كانت الجزيرة واسعة وفيها حيوان كثير، ولكنهم لم يكونوا يستطيعون اصطياده أول الأمر لصغر أسنانهم حتى اهتدوا إلى وسيلة يحاصرون فيها الحيوان الضعيف أو الصغير ويضيقون عليه الدائرة حى يستطيعوا أن يضربوه بأطراف العصي التي تشبه الرماح ويأكلونه ،

وقد مضى الزمن بهم ولا أحد منهم يعرف كيفية وصولهم إلى هذه الجزيرة ولا من أين أتوا بل لا أحد منهم يعرف من هو ولا أحد منهم يعرف شيئاً لما وراء مياه هذا البحر الذي يحيط بهم حتى اعتقدوا أنه ليس وراءه شيء وأنهم هم الوحيدون في هذا الكون الذي يعرفونه الآن وهو هذه الجزيرة وما يحيط بها من سواحل ولم تصل إليهم سفينة .

وأخيراً تذكر أحدهم عندما كبر كما يتذكر الحلم وهو أن مخلوقاً أكبر منهم كان يأخذ أغصان بعض الشجر فيحك بعضها ببعض ويوري بذلك ناراً ولكنهم لم يكونوا يعرفون كيف كان ذلك إلا أن أحدهم الذي يعتبر مخترعاً بينهم حاول وحاول حتى استطاع أن يشعل ناراً من احتكاك بعض العيدان ببعض فكان

هذا فتحاً مبيناً لهم إذ استطاعوا أن يشووا الأشياء من فراخ الطير وما يصطادون من البحر من سمك ومن صغار الحيوان ويأكلونه.

كانت الجزيرة خصيبة كثيرة الأمطار وفيها نهر صغير وعدة عيون عذبة . واعتقدوا في قرارة أنفسهم أنه لا يوجد من هو أنعم عيشاً منهم فيها لكونهم لا يعرفون أحداً أنعم ولا أسوأ عيشاً منهم .

وعندما مضت سنوات عليهم وبلغوا الرشد وكانت فيهم صبايا وصبيان صارت الصبايا يتزاحمن ويتخاصمن على الرجال كل واحدة تريد رجلاً معيناً تريده الأخرى وكذلك الأمر بالنسبة إلى الذكور تزاحموا وتخاصموا على بعض النساء اللاتي رأوهن جميلات .

ففكر عقلاؤهم في الأمر وقرروا أن يتركوا الحرية لكل رجل أن يتفق مع امرأة معينة لا يشركه فيها غيره ولكل امرأة أن تتفق مع رجل لا يشركها فيه غيره من النساء، وبقيت بقية قليلة من المرغوب عنهم من رجال ونساء فأجمع رأيهم على أن كل واحد منهم يمنح واحداً منهم زوجته لفترة معينة حتى لا يحرموا ما حصل عليهم زملاؤهم وهكذا .

وعندما عقلوا الأمور صاروا في اجتماعاتهم وبخاصة عندما يجن الليل وتتوارد الأفكار على ذهن الإنسان عادة يسألون أنفسهم ويبحثون فيما بينهم عن أصلهم من أين جاءوا؟ وكيف حلوا هذه الجزيرة ومن الذي جاء بهم إلى هنا؟

بـل تسـاءلوا عمـن أوجدهـم إلا أنهـم عـندما ولـدت إحـدى النسـاء أول ولـد عـرفوا كـيف يـأتي الإنسـان الصـغير مـن الكـبير مثلما يـأتي الحـيوان الصـغير مـن الكـبير وإذاً تسـاءلوا عـن الذيـن أنسلوهم ، وكـيف ؟

وفي ليلة من الليالي كانت السماء صاحية ولا يوجـد فـيها قمـر يضـيء تسـاءل أحدهـم عـن هـذه التي تتلألأ في السماء ما هي.

فانـبرى أكـثرهم يسفهون رأيه قائلين نحن لم نعـرف مـن نحـن ولا كـيف جئـنا إلى هـذه الجـزيرة وأنـت تـريد أن تعـرف مـا هـي هذه الأنوار البراقة في السمـاء البعيدة .

وقـد عجـزوا تمامـاً عـن أن يعـرفوا أصـلهم، أو أن يـتعرفوا عـلى مـن خلفوهـم ولا كـيف جـاءوا إلى

هـذه الجزيرة مما حمل أحدهم على أن يقول إننا وجدنا هنا من قديم الزمان ، وأنه لا أهل لنا إلا مثل هذه الطيور وهذا الحيوان الموجودة فيها فتساءل متسائل منهم : من الذي أوجد الحيوان وأوجد الطيور وأوجدنا نحن؟ فأجمع أمرهم على انهم عاجزون عن معرفة ذلك .

إلا رجلاً منهم كان معروفاً عندهم بعدم دقة النظر إلى الأمور وبضعف الراي قال لهم: يا جماعة نحن هنا لم يوجدنا أحد ولم يخلقنا أحد وإنما وجدنا سدى وعشنا سبهللاً ولا فائدة من وراء بحثكم عما أسميتموه اصلنا وخالقنا فلا نعرف لنا خالقاً إلا هذه الجزيرة .

ولم يقتنعوا برأيه وإنما وصموه بما كانوا وصموه به من ضعف الرأي غير أن أحدهم علق على ذلك قائلاً: يا قوم، الرجل قال قولاً فالذي

عنده مـا ينقضـه يبديه، ولم يبد أحد رأياً واضحاً ينقضه لأنه لم يأت إليه رسول من السماءِ ولا حتى مـن الأرض الـتي لا يعـرفون أن فـيها سـكاناً. ﴿**مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا**﴾ [الكهف: ٥١]

صدق الله العظيم .



الحادي عشر

المؤسسة العامة للخطوط الجوية العربية السعودية

لقد خطت المؤسسة خطوات واسعة إلى الأمام من حيث عدد الطائرات التي تسيرها ومن حيث عدد المسافرين الذين تنقلهم .

وكذلك في نواحٍ إدارية عديدة غير أن المؤسسة بحكم طبيعة عملها في بلادنا العزيز التي هي بلاد واسعة شاسعة الأقاليم يعتمد أكثر الانتقال من منطقة فيها إلى منطقة أخرى على الطيران وبحكم كون بلادنا قد استقبلت ولا تزال تستقبل طوائف من الأيدي العاملة من مختلف أقطار العالم ، ونسبة كبيرة منهم هم من العمال الذين لم يتعودوا على السفر بالخطوط

الجويـة المنـتظمة في بلادهـم لذلـك لابـد أن يجـد المسـؤولون عـن تسـيير العمـل في المؤسسـة عـناء ومشـقة في جعل هـذا العـدد الكبير من المراجعين والمتعاملين معهـا يسـير على الطـريق الصحيحة في اتـباع الإجـراءات والأنظمـة المرعـية في السـفر بالطائـرات ابـتداء مـن شـراء الـتذكرة والحجـز وانـتهاء بكيفـية الـنزول مـن الطائـرة في محطـة الوصول .

فقـد يلاحـظ المـرء تسـرعاً وإسـراعاً مـن بعـض الأشـخاص يصـل بهـم في بعـض الأحـيان إلى حـد الاعـتداء عـلى حـق الغـير بـتجاوزه في السـبق إلى الحجـز أو في الدخـول إلى الطائـرة وفي أحـيان كثيرة يشـعر المـرء أن بعض المسافرين لم يسمعوا بـالآداب العامـة في الركـوب والنزول فضلاً عن أن يـأخذوا بهـا فـترى بعضـهم يـنطلق إلى الطائـرة

ركضاً وهرولة وكأنها ستطير بدونه إذا لم يبادر بالركض والهرولة تاركاً المرضى وكبار السن، ومن لا يستطيعون مجاراته في الركض والهرولة خلفه .وذلك كله من أجل أن يكون له اختيار المقعد الذي يروقه في الطائرة غير مبالٍ بشيء آخر غير ذلك . حتى إن الذي اعتاد على السفر إلى بعض البلاد الأجنبية يشعر بالخجل فالارتباك عندما يقارن بين سلوك بعض الركاب هؤلاء وسلوك الركاب الآخرين هناك الذين ينظر كل شخص منهم إلى من كان قبله فلا يتقدم عليه وينظر إلى من بعده إذا كان ضعيفاً أو مريضاً فيؤثره في التقدم ويساعده على ذلك، ووجهة النظر في علاج هذا الأمر ستأتي غداً إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الثاني عشر

وعلامات وبالنجم هم يهتدون

اهـتدت البشـرية عـلى طـول تاريخهـا في التنقل والسفر بالنجوم فكـان المسافرون في البر وبخاصة في الصحـارى الواسـعة الخاليـة مـن العمارة يهتدون بالـنجوم يـنظرون إلـيها فـيعرفون اتجـاههم مـن معـرفة أماكـنها الـتي كـانوا عـرفوها في بلادهـم في الحضر .

وكـذلـك كـانـت السـفن في الـبحر تهـتدي بالـنجوم، حيـث لا عـلامـات في البحـار من جبال أو حـتى أرض قـد يعـرفون نوعهـا وإن لم يهـتدوا إلى موضعهم منها.

وقـد هـدى الله بـني آدم إلى اخـتراع البوصـلة

البحرية التي تبين اتجاه الإبرة المغناطيسية إلى القطب .

ولذلك كان بعض الذين لا علم لهم يظنون أن عصر الاهتداء بالنجوم قد ولى وبذلك – على حد زعمهم – ولى الاهتداء بالنجوم في ظلمات البر والبحر .

ولكن تبين من تطور العلوم البشرية أن الاهتداء بالنجوم لم ينته ، بل إنه اشتدت الحاجة إليه ليس في ظلمات البر والبحر ولا على وجه الأرض بل في الفضاء الخارجي.

فالمعروف البدهي أن الفضاء الخارجي تنعدم فيه الجهات إذا لم يكن المحلق في طيرانه قرب كوكب من الكواكب التي يعرف جنوبها من شمالها وشرقها من غربها - مثلاً - .

التحليق في الفضاء البعيد لا يسمح بذلك أي

لا يسمح بمعرفة اتجاه الكواكب ، لأنه يبعد عنها ولا يراها وحتى الفضاء الذي يغلفها لا تعرف الاتجاهات فيه بخاصة إذا لم تكن بقرب جسم ثابت في محله ولو كان جارياً أو متحركاً في طبيعته فجريانه وحركته بحساب كما قال تعالى : ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن:٥]

لذا كان لابد لمرسلي السفن الفضائية التي فيها مسابير فلكية والتي أرسلت لمجرد تصوير الكواكب والأجرام السماوية البعيدة منا في النظام الشمسي الذي نحن جزء منه من معرفة جرم ثابت لا يغيب عن العين ولا يتحرك عن مكانه في نظرها إليه.

وقد وجدت في نجم القطب وهو نجم عملاق أكبر من شمسنا بمئات المرات ولكنه بعيد عنا جداً وبعده ووقوعه في الجهة الشمالية عند قطب

الأرض هـناك جعله ثابتاً في نظر العين لا يغيب عن نظر الناظر إليه أبد الدهر .

لهذا جعله العلماء مقياساً لمعرفة اتجاه السفن الفضائية العلمية غير المأهولة الآن إلا بالآلات والمخبرات وربما تكون مأهولة بأناس من البشر في المستقبل ولكنها لن تستغني عن الاهتداء بهذا النجم الجبار مهما بعدت عن الأرض داخل النظام الشمسي كما قال تعالى : ﴿وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل:١٦] .



الثالث عشر

السـلام علـيكم – أيهـا المسـتمعون الكـرام ورحمة الله وبركاته :

وجهة النظر اليوم حول ما ذكرناه أمس من عدم أخذ بعض المسافرين مع الخطوط الجوية السعودية بما ينبغي أن يكون عليه الأمر في مراجعة الموظفين عند شراء التذكرة والحجز وعند ركوب الطائرة فترى بعضهم لا يتقيدون بدورهم عند الحجز أو الركوب وبعضهم يركضون إلى الطائرة وعلاج ذلك يكون – في نظرنا – بما يلي:

أولاً: عند الحضور لشراء التذكرة أو الحجز ينبغي أن توضع في المكتبات آلة صغيرة تسحب منها أرقام على ورق مقوى بمجرد الضغط عليها

وبصفة آلية يسقط رقم متسلسل ويسير موظف الكتب على ضوء ذلك فلا يقدم صاحب رقم متأخر أو بالعكس بعد أن يأمر كل مراجع أن يحصل على رقم معين منها .

فهذا يضمن عدم التزاحم على المكاتب ومضايقة الموظفين العاملين فيها .

وهذا النظام أخذت به عدد من الشركات منها الخطوط الإسكندنافية ويمكن للمسؤولين في الخطوط السعودية أن يدرسوه ويعرفوا إيجابياته وسلبياته إن وجدت.

ثانياً: لتلافي حصول التراكض والتسابق عند الدخول إلى الطائرة ينبغي ترقيم جميع مقاعد الطائرة وعدم السماح لأي راكب بالجلوس في غير المكان الذي يحمله الرقم المكتوب في بطاقة الصعود إلى الطائرة .

وهذا نظام أخذ به عدد من شركات الطيران

ومنها شـركة الخطـوط الهندية فليس في خطوطها الداخلية درجة أولى ، بل جميعها سياحية، وكل المقاعد فيها مرقمة.

وبذلك ترى الركاب يسيرون الهوينا عند الصعود إلى الحافلة التي تنقلهم إلى الطائرة وعند الدخول إلى الطائرة نفسها ولقد بدأت (السعودية) مشكورة بترقيم مقاعد الدرجة الأولى وهذا حسن غير أن ركاب الدرجة الأولى في الغالب لا يحصل منهم التزاحم والتراكض المشار إليه .

ثالثاً : يشكو بعض المراجعين الذين يقفون أمام شباك بيع التذاكر أو الحجز أو الترحيل سواء وقفوا في طابور أو بغير طابور من أن بعض الموظفين لا يسرعون السرعة المطلوبة في العمل، ولا ينجز بعضهم الأعمال كما ينبغي حسبما قدره المراجع .

ومع أنه لا يمكن الأخذ بهذا القول مأخذ التسليم لأن من عادة المراجع الذي لا يتصور العمل على وجهه الصحيح أن يكون مستعجلاً ومن عادة

الموظف أن يفعل ما يشعره بأن عمله متقن ولو لم يقدر المراجع ذلك حق قدره .

وعلاج هذا الأمر هو حث الموظفين على الإنجاز مع الإتقان وتخصيص جوائز أو حوافز للموظف الذي يعمل عملاً أكثر مع إتقان العمل كأن يحتسب له ما زاد عن الحد المتوسط الذي ينجزه الموظف المتوسط في العادة فيكافأ عليه مثل أن يكون معدل ما ينجزه الموظف في المتوسط من التذاكر المتوسطة القيمة خمساً وعشرين في الساعة فإذا انجز موظف ثلاثين من تلك المعاملات كوفئ على ما زاد على المتوسط وهو خمس معاملات. والله الموفق .



الرابع عشر

ليت الشباب يعود يوماً

عرفته كهلاً ثم عرفته شيخاً هرماً بمرور الأيام.

وعرفت له نشأة صعبة كما خبرني بنفسه وطبقاً لما أخبرني به غيره أنه نشأ يتيماً مات والده وهو حمل في بطن أمه فتزوجت أمه بعد أن وضعته بنحو سنة زوجاً آخر بعد أبيه .

وبعد أن صار عمره ثلاث سنوات ماتت أمه أيضاً ، ولم يكن له من أقاربه من يكفلونه إلا عمة له مسنة ما لبثت أن ماتت وعمره خمس سنين فتقاذفه البيوت ولقي من العنت والشقاء ما لم يستطع وصفه وهو كبير.

ومع ذلك أعطاه الله عقلاً بارعاً وفهماً حاداً وصبراً على ذلك (والله إذا ابتلي أعان) أي إذا ابتلى أحداً من خلقه ببلاوي عظيمة فإنه لا يعينه على تحملها إلا هو .

نشأ فقيراً وصار يكافح في سبيل لقمة العيش، ثم اشتغل بالتجارة فوفق في البيع والشراء ونظراً إلى أنه قد ذاق من العناء والتعب في طفولته ما ذاق صار يعطف بعد أن رزق مالاً وجاهاً على الفقراء ومن لا عائل لهم حتى عرفه بذلك الخاص والعام .

ثم رزق من الأهل والعيال مثلما رزق من المال وفرة وافرة ونعمة كاثرة .

ومع ذلك كان لا يفتأ يردد هذا البيت الشهير :

ألا ليت الشباب يعود يوماً
فأخبره بما فعل المشيب

وقد كرر ذلك عندي في أكثر من مناسبة وفي غير مناسبة .

فقلت له مرة: يا فلان، أصحيح أنك تتمنى أن تعود شاباً ؟ قال: أي والله. قلت له : ألا تذكر حالتك في شبابك ؟ قال : أذكر . قلت له لو فرض أن أحداً قادر على إعادتك شاباً أكنت توافق .

قال : نعم .

قلت: أنت الآن صرت صاحب مال وعيال وجاه، وتعرف ذلك أنت رجل متدين وقد صليت ما لا تحصيه من الصلوات ، وتصدقت بما لا تعرفه الآن من الصدقات، وسبحت وهللت وكبرت

ملايين المرات تحتسب ذلك عند الله .

وصارت لك منزلة ووجاهة عند الناس.

أتريد أن يذهب ذلك كله وتعود كما كنت شاباً فقيراً مسكيناً ليس له أهل ولا مال ولا عيال؟

فقال: هاه، هاه ؟

قلت: نعم ، أنت تتمنى أن تعود شاباً وأنت لا تذكر من شبابك إلا ما لا يسرك والعادة أن الإنسان يذكر ما يسره ويتمنى أن يعود إليه فهل تتمنى العودة إلى ما كنت عليه عندما كنت شاباً؟

فقال: هاه، هاه، لا أدري ثم فكر برهة وقال: والله لقد صدقت لقد أعطاني الله من المال والعيال والجاه والمنزلة عند الناس ووفقني لأعمال كثيرة من أعمال الخير ولا يمكن لي أن أرضى

بأن أبادلها بالدنيا وما فيها.

قلت: وشيء آخر : هل رأيت رجلاً ولد شيخاً هرماً؟

قال: لا .

فقلت له : أنت إذاً أخذت نصيبك من الشباب وتجاوزت مرحلته حتى صرت في وضع أحسن ما كنت عليه عندما كنت شاباً ألا تقر بذلك؟

قال : بلى .

* * * *

الخامس عشر

لعل مما يتفق عليه الجميع أن أماكن التوقف والاستراحة في طرقنا البرية مهمة جداً .

وذلك لما تتميز به طرقنا من طول ورتابة في المناظر في الأغلب الأعم، ولطبيعة المناخ الصحراوي الذي يكون فيه الصيف شديد الحرارة ، والشتاء بارداً أو شديد البرودة. فيضطر المسافر إلى التوقف للراحة في أحيان كثيرة .

ولكنه يجد أن بعض المقاهي والمطاعم الموجودة في المحطات مما تمنعه من الراحة بل تسبب له التعب والإزعاج .

فالنظافة في الأواني والمعروضات ليست على الوجه المطلوب ومياه الشرب تخزن في أماكن يغرف منها بإناء ويمسك باليد في كل مرة ،

وغسل الأواني والملاعق ونحوها ليس بعيداً عن ذلك المستوى ونظافة الأبدان والثياب من العمال فيها كذلك .

والمحلات نفسها ليست مما يجلب الراحة للنفس وأكثرها يحتاج إلى ترميم .

أما المرافق التي تتبع هذه الأبنية كالحمامات إن وجدت فأمر لا يُحدث به إلا من يريد أن يجلب لسامعه الغثيان.

يوجد هذا في وقت أفاء الله تعالى فيه على بلادنا من نعمه ما تحسدنا عليه الدنيا غنيها وفقيرها .

وحكومتنا السنية زادها الله توفيقاً للخير تدفع من القروض الميسرة وأنواع التسليف الأخرى بدون ربح ما لا تقوم به دولة أخرى في العالم .

ولكن بعض الناس في تلك المقاهي

والاستراحات يسعون إلى المزيد من الربح ولا يهمهم ما وراء ذلك . أو أن الكسل وعدم المبالاة يمنعهم من تحسين محلاتهم .

وليس لذلك من علاج إلا عزمة من عزمات وزيرنا الشاب المقدام سمو وزير الداخلية تصحح الوضع وتبدل إلى الأحسن، وربما كانت الوسيلة إلى ذلك تأليف هيئة موثوق بها تنظر في أمر هذه الأماكن والمقاهي فما كان منها صالح البناء وضع نظام لأصحابه يسيرون عليه في توفير ما يحتاج إليه المسافر الذي يريد أن يستريح، سواء أكان ذلك من حيث النظافة أو من حيث وجود ما هو من المرافق الضرورية بصورة مقبولة للشخص المتوسط الذوق، إنْ ما لم تكن فوق ذلك على أن تمنحهم الدولة قرضاً ميسراً يمكنهم من توفير المطلوب .

ومـا كـان مبـناه غـير مناسـب فـإن الدولـة تكلـف صـاحبه بإزالـته وتقرضـه مـن المـال مـا يتمكن به من إعادة البناء قوياً سليماً .

ولنا في تجربة قروض التنمية العقارية الناجحة أسـوة ، ومـا ذلـك ولله الحمـد عـلى حكومتـنا السنية بعزيز والسلام عليكم ورحمة الله.



السادس عشر

النظرة العامة للكون

ليس هذا العنوان من عندي لأن النظرة العامة للكون كله لا يستطيع أن يقوم بها مخلوق إلا إذا استعمل النظريات والقياسات ولكنني قرأتها عن عالم ياباني مختص بالفيزياء وعلم النجوم والمجرات يقول: إن القرآن ينظر نظرة عامة للكون لأنه يتحدث عن السموات والأرض والنجوم بل عن الكون كله .

وقلت : إن كونه كذلك هو لأنه كلام رب العالمين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ذكرت ذلك لما لاحظته منذ أن تأملت معاني القرآن الكريم فرأيته يتحدث عن أشياء عديدة

امتن البارئ عز وجل على عباده بها مثل إنشاء السحاب ومثل المطر والنبات والفواكه والأشجار وحياة الدواب والأنعام وجعل الأرض ذلولاً يمكن الناس أن يمشوا في مناكبها، وإرساء الجبال فيها لتحفظ توازن تربتها .

وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة:١٦٤] .

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ

فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَـٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَـٰوِرَٰتٌ وَجَنَّـٰتٌ مِّنْ أَعْنَـٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرعد:٣-٤].

والآية العظيمة الشاملة وهي قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ

ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم:٣٣-٣٤].

كنا نقرأ في القديم مثل هذه الآيات التي يمتن الله بها على عباده فلا نلقي لذلك كبير بال، لأننا ألفنا النعم المذكورة فيها، ولأننا لسذاجتنا كنا نعتقد أنه لا يوجد في الكون موطئ قدم لإنسان فضلاً عن مساحات يمكن أن تشابه مساحة الأرض أو حتى تكون دونها .

فالكواكب كنا نسميها نجوماً وتقول العامة عندنا مثلاً كنا استسغناه وصدقنا به وهو أن النجمة تقول: تحسبونني كبر البلحة وأنا كبر اللقحة ، والبلحة بسرة النخلة قبل أن يكتمل نموها ، يقولون إن النجمة تقول أنتم ترونني

صغيرة في حجم البلحة الواحدة وأنا في الحقيقة في حجم اللقحة وهي الناقة التي في بطنها ولدها .

مثلما قال المثل الآخر على لسان القمر ، تحسبونني كبر الإيدين وأنا كبر البلدين أي أيها الناس إنكم تظنون أن حجمي في حجم اليدين الإثنتين وأنا حجمي في حجم بلدين .

هكذا يعتقدون أن القمر أكبر من النجوم بمئات المرات .

ولم نكن نعرف أنه توجد كواكب ذات سطح شبيه بسطح الأرض فيه حجارة وتراب وجبال ووهاد وأماكن منخفضة وأماكن مرتفعة ، والأغرب من ذلك أن بعضها مغلف بالسحب ولكنها غير سحب الرحمة التي تغلف سماء أرضنا فليست من سحاب الماء ، ولا هي ممطرة ولا هي تعمر وجه الكوكب أو سطحه

الذي تحتها وحتى وجوه تلك الكواكب طبيعتها غير طبيعة أرضنا فليس فيها أنهار تجري، ولا أمطار تهطل بالماء العذب النمير ولا تخرج أرضها غذاء وليس فيها حيوان ينتفع منه الإنسان الذي يفترض أن يعيش فيها وهو لا يستطيع ذلك .

وحتى الليل والنهار فإن الليل ليس رخيا رقيقاً شاعرياً كليلنا ونهارنا على أرضنا فالقمر والزهرة وعطارد ليله زمهرير وناره جهنم الحمراء وتشرق الشمس عليه فجأة فلا يتدرج شروقها تدرجاً ولا يكون غروبها شيئاً فشيئاً كما يكون على أرضنا .

ولا يستطيع الإنسان أن يتجول في تلك الكواكب إلا داخل خيمة تحميه، وأنى للإنسان أن يعيش طول عمره داخل خيمة تلك الخيمة لا يسمع فيها نداء، ولا يتلقى دعاءً أو ليس فيها

هواء ناقل للأصوات ولا يسمع فيها صدى لما يقوله يرتد إليه للخبر ويعجز عن أن يغادر الخيمة التي هو داخلها.

لو ذهبنا نذكر المقارنات أو نبين الفارقات بين ما في تلك الكواكب التي هي شقيقات الأرض في كونها جميعاً من أبناء أو بنات الشمس، أو التقطتها الشمس من الفضاء وتبنتها لطال ذلك، وبعضها كبير مثل كوكب المشتري فهو في حجم الأرض بما يعادل ١٣٠٠ مرة أي أن مساحته أكثر من مساحة الأرض الفا وثلاثمائة مرة فلو كان صالحاً للحياة وكان ضغطه كضغط الأرض وكثافة جوه ككثافة الأرض لشعر الإنسان أن جسمه من الرصاص ولخرج الدم من منخريه إذا كان قد اكتسب دما من معيشته على الأرض .. هذا الكوكب العملاق سيضغط

على الإنسان حتى يكون كذلك ولكان عمره الافتراضي أقل من عمره على الأرض عدة مرات .

وهناك شيء مهم بل غاية الأهمية في هذا الموضوع وهو أنه لا يتلقى من أشعة الشمس النابضة بالحياة بل التي هي سبب بقاء الحياة واستمرارها على الأرض إلا ما لا يكفي للحياة، لأن الذي يكون عليه يرى الشمس كما نرى نحن القمر لفرط البعد عنها ولا تصل إليه أشعتها النافعة كما تصل إلى الأرض ، فلا تنبت عليه ثمار ولا يعيش فيه نبات . وأعظم من ذلك الزمهرير الذي يلف منطقته إلا إذا كان يصدر حرارة من داخل جوفه فإنها لا تكون حرارة كالتي تتلقاها الأرض من الشمس، تبعث الدفء وتساعد على الحياة .

أرأيت كيف أن الامتنان للمولى جل ذكره

علـى عبـاده بهـذه المـزايا العظـيمة هـو مـا ينبغي لهم أن يتبصـــروه ويذكـــروه بـــل يجـــب علـــيهم أن يشـكروه حق الشـكر وأن يتلوا قولـه تعـالى ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: من الآية ١٩١] .

* * * *

السابع عشر

روى أحد الأدباء القدماء أن رجلاً قابل جحا في مكان غير بعيد من مدينةٍ كان يقصدها الرجل فسأل جحا قائلاً:

متى أصل إلى المدينة يا جحا؟

فقال له جحا : امش، فاستنكر الرجل عدم إجابته المباشرة على سؤاله وقال لجحا : أجبني عن سؤالي ، إنك قلت لي إن المدينة غير بعيدة وأريد أنا أن أعرف متى أصل إليها . فلم يزده جحا على قوله: امش ، فغضب الرجل وسب جحا وانطلق ماشياً ، فلما سار قليلاً لحق به جحا وناداه قائلاً :

إذا سرت بهذه السرعة التي مشيت بها الآن وصلت إلى المدينة في ست ساعات إنك تسألني

متى تصل إلى المدينة، وهذا أمر يتوقف الحكم فيه على معدل سيرك فإن ركضت وصلتها في ساعتين وإن نمت أو أقمت في مكانك يوماً أو يومين وصلت إليها بعد يوم أو يومين مضافاً إليها معدل السرعة التي تسير بها ، أيها المستمع الكريم: قد تكون هذه القصة خرافية منحولة فقد تكون شخصية جحا كلها كما يعرفه الناس اليوم منحولة ولكن المهم هو مغزاها .

إنه الحكم على الأشياء بعد تحديد المراد منها تحديداً كاملاً ، إن كثيراً من الخصومات والمنازعات بين الناس سببها عدم الإتفاق على تحديد الشيء المتنازع عليه .

أعرف شخصين كانا منطلقين مع رفقة إلى بلدة معينة فتنازعا في مقدار مدة السفر إليها ووقت الوصول إذ قال أحدهما : إن ذلك يحتاج إلى

تسـع سـاعات وإنه قاس ذلك بنفسه وقال الآخر بل تحتاج إلى سبع ساعات وأن ذلك نتيجة تجربته .

وقـد طـال بيـنهما الـنزاع في هـذا الأمـر حـتى وصـل إلى الاتهـام بسـوء الـتقدير أو سـلامته عـند كـل واحـد مـنهما وتسـببت هـذه المسـألة السـهلة بعداوة كـان يمـكن تلافيها لو أنهما حددا في أول الأمـر سـرعة واسـطة الـنقل ومعـدل الاسـتراحة ومعـدل الاسـتمرار في السير والطـريق الـذي كـان قد سلكه كل واحد منهما أي : لو أنهما فعلا ما فعله جحا بصاحبه .

وفي سـائر الاشـياء التي نسارع فنطلق حكمنا عليها مجـرداً غـير محـرر ولا محـدد ، فنخـتلف مـع الآخـرين كـان يمـكنـنا أن نحـدد مـا نختلف عليه قبل الخـوض فيه ، ومـن ثم يـكون حـكمنـا عليه صـائباً فضـلاً عـن كونـه لا يبعـث عـلى الـنزاع

الناشئ عن سؤ الفهم وتلك قاعدة ينبغي أن تكون هي المتبعة في هذا الأمر والله الموفق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * * *

الثامن عشر

السماء الدنيا

قال الله تعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ❖ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ❖ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (الملك:١-٤) .

فذكر أن السموات سبع وأنها طباق ونفهم الطباق أن بعضها فوق بعض، وأن العليا منها أعلى من التي تحتها من الطبقة . وذكر القرآن الكريم السماء الدنيا خاصة في ثلاث آيات

موضحاً أن الله تعالى زينها بالكواكب والنجوم فقال تعالى : ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦] .

وقال تعالى : ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: من الآية١٢] وقال في الآية الثالثة : ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: من الآية٥] فتخصيص السماء الدنيا بالكواكب والنجوم مفهومه أن السموات الأخرى التي هي فوقها ليست فيها نجوم ولا كواكب .

وعلى هذا يكون جميع ما يراه بنو البشر سواء بأبصارهم المجردة أو بواسطة المناظير المكبرة والقوية والتلسكوبات هو في السماء الدنيا أما السموات الأخرى فإنهم لا يرونها ، بل

لا يرون منها شيئاً الآن .

ومعلوم أن علماء المجرات والنجوم يقولون إن مناظيرهم وصل مداها إلى مجرات أو نجوم تبعد عنا ثلاثة عشر ألف مليون سنة ضوئية يعني أن البرق إذا لمع فيها أي برق وفرض أنه تماسك وأنه باقٍ على قوته وأنه لم يعترضه شيء من الأجرام السماوية لا يصل إلينا إلا بعد ثلاثة عشر ألف مليون سنة لأن المراد بالضوئية عندهم هو مسيرة الضوء .

وكل ذلك موجود في السماء الدنيا التي منها السماء التي تظلنا الآن إلى المستقبل المنظور ونقول ذلك لأن الشمس والأرض والكواكب التي تتبع الشمس في نظامنا الشمسي سائرة في الفضاء الكوني بسرعة عجيبة فالسماء التي فيها أرضنا قبل شهر غير التي هي فيها الآن وهكذا وقد

تقول: إنّ ذلك غير صحيح لأننا نرى النجوم التي كنا نراها من قبل، وهي التي رآها وعرفها آباؤنا وأجدادنا بل الأمم القديمة.

وهذا صحيح أننا نراها كذلك لا لكوننا لم نبرح مكاننا في الفضاء وإنما لسعة الفضاء وعظم تلك الأجرام السماوية وبعدها الشديد عنا.

ويقول الفلكيون المحدثون : إن أقرب النجوم إلينا هو النجم المضيء المسمى عندنا (المرزم) وأنه يبعد عن الأرض أربع سنوات وثمانية أشهر بسرعة الضوء وهذا بعد عظيم إذا عرفنا أن القمر يبعد عنا بثانية واحدة وربع الثانية بسرعة الضوء وأن الشمس تبعد عن الأرض ثماني دقائق وربع بسرعة الضوء التي هي مقياس الأبعاد في الفضاء .

هذا النجم هو جارنا حتى زعم بعض الفلكيين أنه تؤم شمسنا الحنون .

وتفسير ذلك أنه لو انطلق صاروخ بأقصى سرعة له وصل إليها حتى الآن أو حتى بأقصى سرعة متخيلة له فإن وصوله إلى نجم (المرزم) هذه يحتاج إلى ٧٦ سنة حتى يصل إليه .

هذا أيضاً إذا استطاع الوصول إليه وسلم من جاذبية كواكب خفية أو نجوم ذات جاذبية عظيمة، فكيف بالنجوم بل والمجرات البعيدة التي تراها المناظير العملاقة مثل (تلسكوب هابل) ؟ .

بقي أن نتخيل موقع السماء الثانية التي بعد السماء الدنيا التي زينها الله تعالى بالكواكب التي نراها أو نرى بعضها الآن فنقول: إن الفلكيين المحدثين طبقاً للاكتشافات الحديثة ذكروا شيئاً في الكون يوجد في قلب بعض المجرات وسموه الثقب الأسود وذكر بعضهم أنه

أكثر من ثقب .

ذكروا من عجائبه أنه مركز تركيزاً لا يتصوره العقل البشري حتى إنه يجتذب نجوماً بل ومجرات يبتلعها ويبلغ من قوته أن الضوء لا يستطيع النفاذ منه أو حتى أن يمر بقربه لأنه يمتصه .

وقال اكثر من واحد منهم إنه لا يستطيع بشر أن يتخيل ما وراء هذا الثقب الأسود وقلت أنا : ألا يمكن أن تكون هذه الثقوب السوداء هي الأبواب للسماء الثانية ؟

لا شك في أن الموضوع غامض وأن كل ما يتعلق به هو موضع تخمين حتى الآن ولكن الذي يسترعي انتباهنا تلاوة هذه الآيات القرآنية الثلاث التي امتن الله سبحانه وتعالى على عباده فيها بأنه زين السماء الدنيا بمصابيح ، وذلك أن البشرية

منذ نشأتها ووحتى عهد قريب كانت تستدل بالنجوم في سيرها في البر والبحر وكانت تهتدي بها . وظن كثير من الناس أن الاهتداء بالنجوم في مطالعة السماء وقد ازينت بها إنما كان في القديم ولم يعد له الآن ذلك الرونق والمنظر الذي يأخذ بالألباب لكثرة الأنوار الكهربائية على الأرض، وفاته أن يتأمل فيما التقطته السفن الفضائية غير المأهولة المرسلة إلى الكواكب التي تتبع شمسنا حيث كانت تلتقط صوراً غاية في الروعة لسماءِ تلك الكواكب البعيدة الخالية من ضوء الشمس لبعدها عنها أو لغروبها عن أفقها ، فيراها المرء من خلال تلك الصور البعيدة جميلة زاهية أكثر وضوحاً وربما إشراقاً مما يراها المرء وهو على الأرض وكم كنت أتخيل لو لم تكن النجوم موجودة في الكون كيف

يكون منظره لا شك في أنه سيكون مظلماً حالكاً موحشاً إلى درجة لا يستطيع المرء أن يدركها حتى في الخيال .

ولكن النجوم والمجرات بأشكالها المتعددة وأضوائها المختلفة بل وأشكالها الجميلة هي زينة السماء الدنيا والله أعلم بما في السموات العلى .



التاسع عشر
فاكهة الشام في المدينة

في بعض الأحاديث غير الصحيحة (لا تقوم الساعة حتى تباع فاكهة الشام بالمدينة) .. وهذا الحديث رغم كونه لا يعتبر صحيحاً عند أهل الحديث فإن بعض العلماء قد أخذوا ما فيه بالقبول فصار أحدهم يلتمس في ذهنه تخريجاً لذلك فقال: معنى ذلك أن بذور فاكهة الشام تنقل إلى المدينة المنورة وتغرس فيها فتثمر وبذلك تباع في المدينة .

فهم لم يتصوروا أبداً أن يكون الحديث على ظاهره بأن الفاكهة التي تنضج في الشام يمكن أن تصل المدينة المنورة وتباع فيها وذلك أنهم

يعـرفون أن المسـافة مـا بـين الشـام والمدينـة المنورة تقـارب الشـهر عـلى ظهـور الإبـل ومـن المسـتحيل أن تـبقى الفـاكهـة الـتي تـنقل عليها صـالحة للأكـل بعـد مـدة شـهر مـن حملها على ظهور الإبل وإنزالها مـن ظهورهـا ، لا سـيما أن المنطقة شديدة الحـرارة في الصيف والفواكـه تـدرك في الصـيف كما هـو معروف .

ولم يدر في خلدهم ولم يتخيلوا أنه سيأتي يوم توجـد فـيه طائـرات تختصـر المسـافة بـين الشـام والمدينـة لسـاعتين ، ولا أنه ستوجد سفن وسـيارات مبردة هـي أشبه بالثلاجات المتنقلة التي توضع فيها الفـاكهـة فتصل إلى المدينة المنورة وهـي طرية ، بل طازجـة ، وتـباع في أسـواق المديـنة كمـا تـباع في أسواق الشام ، بل أكثر من ذلك . وهذا عجيب .

العشرون

الإبل في هذا الزمان

قال الله تعالى : ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [يس:٧٢] وهـذه آية محكمة ما ذكـر فيها واقـع منذ أن عرف الإنسان الإبل حتى الآن ، وسـيكون كذلـك إلى مـا شـاء الله مـن الـزمان بل إننا نتخيل أنها ستكون أكثر مما هي عليه .

وهـذا ظاهـر فالإبل كانت وسيلة للنقل وقطع المسافات بـين البلدان البعيدة وهي إلى ذلك تأكل من الشـجر والعشـب فوقودهـا مـن الأرض ولـيس كالمركوبات الصناعية التي لابد للإنسان من أن يعد لها وقـوداً غاليـاً يحملـه معـه أو يجـده يـباع في

محطات خاصة به .

وشـيء آخـر هـو أن فضـلاتها لا تلـوث البيئة بل هـي تعمـرها بمـا ينشأ عنها من فضلات هـي سماد طبيعي نافع يخصب الزرع ويجدد حيوية الأرض .

لقـد تضـمنت الآيـة الكـريمة ذكـر مزيـتين للإبل أولهما أنها ركوب أي مركوبات لبني آدم، وقد حدث هذا منذ قرون متطاولة .

وثانـيهما : أن مـنها يـأكلون فالـبعير الـذي يحـتاج أهله إلى اللحم يذبحونه ويأكلونه وفيه من الـلحم والشـحم مقـدار عظـيم وفـيه إلى ذلـك جلـد قـوي كـبير ينفع في نـواح عديـدة مـن حاجـات بـني آدم وكـذلـك إذا تعطـل الـبعير لسـبب مثل الـكسر في رجلـه أو لم يسـتطع السـير فـإن أهلـه يذبحونـه ويأكلونـه وجمـيع الـركوبات المصـنوعة الآن إذا تعطلـت فإنهـا تكـون كـلاً علـى أهلها تحـتاج إلى

نفقة لإصلاحها وتحتاج إلى سحبها أو تركها تشوه المناظر وتكون مباءة للأوساخ والأقذار ولا يمكن للناس أن يأكلوها أو ينتفعوا بها إلا إذا فككوها ووجدوا بعض أجزائها صالحة فنقلوها إلى غيرها .

وقد قل استعمال الإبل للركوب ، أو عدم في بعض البلدان مثل بلادنا والمراد بذلك انتقال المسافرين عليها بين البلدان وبلوغ المسافات الطويلة عليها فصح بذلك ما ورد في الحديث الصحيح الذي جاء فيه إن الإبل تهجر في آخر الزمان أي تترك بمعنى يترك ركوبها والانتقال عليها للمسافات البعيدة ، ولفظ الحديث تهجر القلاص والقلاص: جمع قلوص وهي البعير المركوب ، وفي بعض ألفاظه : (لا تقوم الساعة حتى تهجر القلاص) ..

وقد أشكل ذلك على أكثر العلماء ، فالإمام النووي شارح صحيح مسلم فسره بقوله: وهذا الحديث ليس على ظاهره لأنه إذا هجرت القلاص وهي الإبل فعلى ماذا يحج الناس ؟ وكيف يغزون؟

لأنه في وقته لا تعرف وسيلة أخرى للركوب والانتقال بين البلدان المتباعدة غير الإبل ولذلك قال : إن معنى هذا الحديث أن الإبل تكثر حتى يستغني الناس ببعضها عن بعض وأن معنى تهجر أي يترك ركوب بعضها ولم يدر في خلده ولا تخيل أنه سوف يأتي على الناس زمان توجد فيه مركبات مصنوعة يستغني الناس بالانتقال عليها بين البلدان البعيدة عن ركوب الإبل.

وأن معنى ترك القلاص الذي هو ترك الإبل هي تركها من الركوب والانتقال وذلك مشار

إليه في آية النحل : ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٨] فذكر أنه يخلق ما لا يعلمون في معرض ذكر المركوبات المعروفة في الأزمان القديمة وهي الخيل والبغال والحمير يدل على أن المراد ما لا تعلمون من المركوبات الأخرى .

وقد تركت الإبل الآن للركوب والتنقل البعيد عليها ولكنها لم تترك للأكل الذي ذكره الله تعالى في قوله ﴿ وَمِنْهَا يأْكُلُونَ﴾ بل زاد إقبال الناس على الأكل من لحومها لما وجده الأطباء من الفوائد الصحية منها ومن قلة الضرر فيها الذي يكون في لحوم البقر والغنم فصارت أسعار لحوم الصغار منها أغلى من أسعار لحوم البقر والغنم .

وصدق الله تعالى ﴿ وَمِنْهَا يأْكُلُونَ﴾.

الحادي والعشرون

الكلمة الطيبة صدقة

هكذا ورد في الحديث حثاً على التعود على الكلمات الطيبة التي تكون سبباً في تطييب نفس السامع ثم تطييب نفس المتكلم وجسراً إلى حسن ما يكون بين المتحدثين من حديث يتعلق بالمصالح المشتركة بينهما أو بشيء يخص أحدهما بل إن الكلمة الطيبة تكون أحياناً قائمة مقام العطاء في نفس سامعها .

وكم من شخص كان كاسف البال منقبض الصدر سمع كلمة طيبة تتضمنها عبارة مواساة أو توجع أو حتى اعتذار أو اعتراف بالشكر فعلت في نفسه ما يفعله العطاء وجلت

عن نفسه بعض ما يحس به من غم وكدر .

والكلمة الطيبة لا تتطلب منا أيها المستمع الكريم إلا أن نعوِّد أنفسنا على النطق بها ، وإحلالها محل الكلمة الجارحة ، وحتى محل الكلمة غير المبالية وذلك لا يكلفنا جهداً ولا مالاً بل ولا ضغطاً على عواطفنا ومشاعرنا .

فمن الحكمة العامية قولهم: «مخرج الكلام واحد» يقولون ذلك حثاً على أن يتفوه المرء بالطيب من القول، ويتجنب السيء منه لأن الجهد العضلي الذي يبذله السامع في إخراج الكلمة الطيبة والرديئة هو واحد فلا يكلفه النطق بالكلمات الطيبة أكثر مما يكلفه النطق بالكلمات الأخرى .

أخي المستمع الكريم ، أختي المستمعة الكريمة:

ربمـا يطلق أحدنـا كـلمة أو جملـة فـيها شـيء من عـدم مـراعاة الشـعور في وجه صـديقه أو قـريبه لا يلقـي لها بـالاً ولـكنها تقـع موقعاً سيئاً في نفس ذلــك الصـــديق أو القريـــب فــيظل يذكـــرها ويكـررها في ذاكـرته زمناً طويلاً .

وقـد يترتـب عـلى ذلـك أن تنشـأ عـنده بـذور عـداوة أو حقـد أو عـلى الأقـل شـعور غـير ودي قـد يمتد مـنه إلى من يتصلون به ويقـربون منه فيؤلبهم علـيك، ويذكـــر ســيئاتك عـندهم ولــو كـنـت تذكـرت هـذا الحديـث الكـريم (الـكلمة الطيبة صـــدقة) فانتقيـت كـــلماتك وراعيــت مشـــاعر صــاحبك لسـلمت مـن ذلـك كلـه ولتسـبب في أن يسـلم صـديقك أو قـريـبك مـن الغضـب علـيك ، وبـالتالي مما قد يعقـب ذلك من قطيعة بينك وبينه .

لمـاذا لا تـبدأ مـن الآن وتـأخذ نفسـك بـأن تـبعد

عن لسانك الكلمات الجارحة المؤذية وتحل محلها الكلمات الطيبة ما دام أن ذلك لا يكلفك شيئاً؟ حتى العبارات التافهة التي هي مثل قولك لزميلك أو قريبك : أنت ما تعرف ، ما عندك خبر ، يمكن أن تتكلم بدلاً منها بعبارات تؤدي معناها ولا تجرحه مثل قولك: الأمر يحتاج إلى بحث أكثر ، أو يجب دراسة الأمر منك أيضاً ، أو قال الخبير فلان أو الحكيم فلان في هذا الأمر غير ذلك أو إذا أردت أن تسند الأمر إليك أن تقول: أنا أظن أن الأمر خلاف ذلك أو في ذهني غير هذا . ولا تنسى أن تبرز النواحي الإيجابية في تفكير صاحبك كأن تقول له: إنني أعرف أنك بذلت مجهوداً كبيراً في إدراك هذا الأمر ، وهذا في حد ذاته مزية لك وفضيلة غير أن كل واحد منا ليس معصوماً من الخطأ أو تقول إنك قد أصبت

في أشياء وبقي أن تعمل على أن تصيب في هذا الموضوع أيضاً .

وهكذا بدلاً من العبارات غير الطيبة .

فهل أنت فاعل؟

أظن أنك ستفعل ما دام أن (مخرج الكلام واحد) كما تقول الحكمة العامية.

* * * *

الثاني والعشرون

الحرص على طلب العلم

إن مـن قـرأ سـير علمائـنـا الأوائـل في الحـرص عـلى الاسـتفادة مـن العـلم، والرحـيل في طلـب الحديـث وغيره من العلوم إلى الـبلاد القاصية مع قلـة الأمن، وأحياناً يكون الفقر الغالب على طلبة العلم في تلك العصور هـو المهيمن عـلى أكـثرهم يعجب أشد العجب .

فهذا عالم رحل مـن العـراق إلى الـيمن ليسأل عبدالرزاق الصنعاني عـن حديـث واحـد ، وهـذا آخـر رحل مـن الحجاز إلى بلاد ما وراء النهر التي تعرف الآن بآسيا الوسطى لكي يسمع عوالي الحديث عن علمائها.

وأعجب من ذلك أن يرحل أحدهم لكي يسجل كل ما تصل إليه عينه أو يده أو فمه من الفوائد العلمية كما فعل الحافظ السِّلفي الذي ترك بلاده الإسكندرية سائحاً في العالم الإسلامي الشرقي من أجل تحصيل الفوائد فكان يكتب كل ما يستفيده إلى درجة أنه سمى كتابه الذي صنفه في تلك الرحلة (معجم السفر) لأنه ذكر فيه الفوائد التي استفادها في سفره .

أما الحرص على الحديث فيكفي فيه أن ننقل نصاً مما ذكره الإمام ابن مفلح في الآداب الشرعية ، قال: في مكانة حفاظ الحديث وإقبال الألوف على مجالسهم وحسد الخلفاء لهم قال جعفر بن درستويه كنا نأخذ المجلس في مجلس علي بن المديني وقت العصر اليوم لمجلس غد

فـنقعد طـول اللـيل مخافـة أن لا نـلحق مـن الغـد موضعاً نسمع فيه فرأيت شيخاً في المجلس يبول في طيلسانه ويدرج الطيلسان مخافة أن يؤخذ مكانه إن قام للبول وذكر غير واحد أنه كان في مجلس يزيد بن هارون عدد يحزر بسبعين ألفاً وأمر المعتصم بحزر مجلس عاصم بن علي فحزروا المجلس عشرين ألفا ومائة ألف وأملى البخاري ببغداد فاجتمع له عشرون ألفاً وقال أبو الفضل الزهري كان في مجلس جعفر الفريابي من أصحاب الحديث من يكتب حدود عشرة آلاف ما بقي منهم غيري سوى من لا يكتب وأملى أبو مسلم اللجي في رحبة غسان فكان في مجلسه سبعة مستملين يبلغ كل واحد منهم صاحبه الذي يليه ، وكتب الناس عنه قياماً بأيديهم المحابر ، ثم مسحت الرحبة وحسب من حضر بمحبرة فبلغ

ذلك نيفاً وأربعين ألف محبرة سوى العطارة.

قال ابن الجوزي: قد كانت الهمم في طلب العلم كما قد ذكرنا ثم ما زالت تقل الرغبات حتى إضمحلت فحكى شيخنا أبو حفص عمر بن ظفر المغازلي قال كنا في حلقة ابن يوسف نسمع الحديث فطلبنا محبرة نكتب بها السماع فما وجدنا، قال وقد كان الخلفاء والكبراء يغبطون المحدثين على هذه المرتبة، ثم روى بإسناده عن محمد بن سلام الجمحي أنه قال قيل للمنصور هل من لذات الدنيا شيء لم تنله؟ قال بقيت خصلة أن أقعد في مصطبة وحولي أصحاب الحديث فيقول المستملي من ذكرت رحمك الله، قال فغدا عليه الندماء وأبناء الوزراء بالمحابر والدفاتر فقال لستم بهم إنما هم الدنسة ثيابهم، المتشققة أرجلهم، الطويلة شعورهم، برد الآفاق،

ونقلة الحديث.

وقال يحيى بن أكثم: قال لي الرشيد ما أنبل المراتب قلت ما أنت فيه يا أمير المؤمنين ، قال: فتعرف أجل مني ؟ قلت: لا قال: لكني أعرفه، رجل في حلقة يقول حدثنا فلان عن فلان قال قال رسول الله ﷺ قلت يا أمير المؤمنين هذا خير منك وأنت ابن عم رسول الله ﷺ وولي عهد المسلمين؟ قال نعم ويلك هذا خير مني لأن اسمه مقترن باسم رسول الله ﷺ لا يموت أبداً، ونحن نموت ونفني والعلماء باقون ما بقي الدهر، وقال المأمون ما طلبت مني نفسي شيئاً إلا وقد نالته ما خلا هذا الحديث فإني كنت أحب أن أقعد على كرسي ويقال لي من حدثك فأقول حدثني فلان، قيل له يا أمير المؤمنين فلم لاتحدث ؟ قال: لا يصلح الملك والخلافة مع الحديث. وقال يحيى بن

أكـثم وليـت القضـاء وقضـاء القضـاء والـوزارة
وكـذا وكـذا مـا سـررت لشـيء كسـروري بقـول
المستملي: من ذكـرت رضـي الله عنك ؟

* * * *

الثالث والعشرون

صوت الدجال

رأيت في مستدرك الحاكم المطبوع في دائرة المعارف العثمانية في حيدرآباد الهند حديثاً نبوياً كريماً يقول : "إذا خرج الدجال صاح صيحة في المشرق يسمعها من في المغرب، وصاح صيحة في المغرب يسمعها من في المشرق.

وهذا الحديث لا يمكن أن يتصوره العلماء في القديم وحتى نحن عندما عقلنا الأمور ، بل عندما بدأنا طلب العلم لا يمكن أن نتصور وقوعه ولا المقصود منه إلا إذا فسرناه بما فسره به العلماء القدماء بأن الأوقات ستتغير في زمن الدجال وأنه سوف يأتي بخوارق منها أن الأرض

تطوى له أي يسير مسافة شهر في يوم ومسافة يوم في ساعة ، كما ورد في بعض الآثار .

ولكن حتى على هذا التخريج لا يمكن أن يتخيل الناس كيف يصيح صيحة في المشرق يسمعها من في المغرب وكيف يصيح صيحة في المغرب يسمعها من في المشرق وأما الآن فإننا نفهم ذلك إذ يتكلم الرجل ولو كان يهمس همساً في أقصى الشرق فيسمع همسه بل ويرى شخصه وهو يتكلم في المغرب وكذلك من يكون في المغرب وهو يتكلم في أقصى المغرب يسمعه ويراه من هو في أقصى المشرق وذلك بواسطة التلفازات والأقمار الاصطناعية وحتى الهواتف فيما يتعلق بالصوت وحده.

الرابع والعشرون
لغتنا العربية

أيها المستمع الكريم :

لغتنا العربية لغة جميلة ما في ذلك شك ولذلك تجد فيها من الألفاظ التي تدل على المحبة والجمال ما لا تجده في غيرها .

ويكفي أن تعلم أن بعض علماء اللغة قالوا : إن للحب في اللغة العربية ألف اسم، وهي لغة قوية بدليل أن للسيف فيها مئات الأسماء .

وليست كذلك فحسب وإنما هي تنوه بالأقوياء وبمصادر القوة ومن مظاهر ذلك أن للأسد فيها من الأسماء ما يكاد يبلغ ألف اسم أيضاً.

وهي كذلك لغة قديمة بل عريقة في القدم والأصالة حتى إن المتعلم من أهلها يمكنه أن يقرأ ويفهم نصوصاً قيلت في العهد الجاهلي منذ خمسة عشر قرناً. وهذا أمر قل أن يشاركها فيه غيرها من اللغات.

وهي قبل ذلك ولأمر أهم من ذلك هي لغة القرآن الكريم شرفها الله تعالى بأن جعلها لغة كتابه العظيم الذي ضمن أن يحفظه ويصونه كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر:٩] .

وهذا الأمر الأهم هو السبب الأول الذي من أجله بقيت اللغة العربية لغة حية متجددة على الدهر على حين أن اللغات الأخرى التي كانت تعاصرها منذ خمسة عشر قرناً قد ماتت ونسيت أو ماتت إلا من بطون الكتب، وذاكرة التاريخ .

أيها المستمع الكريم:

ألا يجدر بنا والحالة هذه أن نعمل على أن نصون مفردات هذه اللغة وتعبيراتها عن أن تحل في استعمالنا كلمات وتعبيرات أخرى من لغات غريبة لا تطاول اللغة العربية فضلاً عن أن تنافسها في العراقة والقدر؟ وهي كلمات ربما لا تلقي بالاً إليها وإلى أهميتها غير أنك من حيث تشعر أو لا تشعر تساعد على ترسيخها في الأذهان، وتثبيتها في الاستعمال مع أنها كلمات يوجد في العربية بديل بل بدائل عنها كثيرة .

من ذلك كلمة كوبري بدل جسر واستيشن بدل محطة وتليفون بدل هاتف. وأوكي للحجز بدل مؤكد ودريول بدل سائق وراديو عوضاً عن مذياع أو إذاعة . وباي بدلاً من السلام عليكم أو وداعاً.

مثل ذلك صالة بديلة عن قاعة . وصالون عوضاً عن غرفة استقبال وماطور بدلاً من محرك وكبوت عوضاً عن غطاء وبويه بدلاً من دهان أو طلاء . وهكذا عشرات الكلمات التي لا يلقى لها بعض الناس بالاً وهي تترسخ وتتقوى وتحل محل الكلمات العربية الفصيحة على الأيام إذا ما استمر استعمالها حتى تألفها الأسماع ، وتتعود عليها الأذواق .

ومن ذلك كلمات (جنيه) بدل دينار وريال بدلاً من درهم ودانق عوضاً عن فلس، وفلس مكان هللة .

* * * *

الخامس والعشرون

حاسب نفسك

روي عـن الخليفة الراشـد عمر بن الخطاب ﷺ نـه قـال: "حاسـبوا أنفسـكم قبل أن تحاسبوا وزنـوا أعمالكم قبل أن توزنوا" .

والمـراد بقولـه تُحاسَـبوا أي يحاسـبكم الله سبحانه وتعالى يوم الجزاء ووزن الأعمال هو تمييز ما كان منها صالحاً وما كان فاسداً والميزان هنا هو ميزان الشرع .

فالمسلم الحازم هو الذي يأخذ للأمر أهبته، ويستعد ليوم معاده بأن لا يفعل ما يغضب الله ولا ما يخالف أوامره .

وذلك أمر سهل يسير على من يسره الله عليه

ويتمثل في أن يستعرض المرء عندما يأوي إلى فرشه في ليل كل يوم ماذا فعل في ذلك اليوم ليعرف إن كان فعل في يومه خيراً فإنه يحمد الله تعالى ويعزم على أن يزداد منه، وإن كان فعل شراً ، أي أمراً مخالفاً للشرع فإنه يجب عليه أن يستغفر الله تعالى ويقلع عنه .

ولا ينبغي له بل لا يجوز أن لا يترك محاسبة نفسه ، فينطلق كما تريد منساقاً وراء شهواته أو رغباته غير مبال بوزنها بميزان الأوامر والنواهي الإلهية ؛ لأن ذلك معناه أن يستمر على شر يضره ، أو أن يستمر على مجانبة الخير الذي ينفعه .

السادس والعشرون

أخي المستمع :

بعض الناس يأخذون أنفسهم بأن يقوموا مجاناً ومتطوعين بأعمال لو أنهم أعطوا أجراً عظيماً على القيام بأعمال تماثلها في المشقة لما قاموا بها .

وتسأل كيف ذلك ؟

وأجيب بأن ذلك كثير ومتعدد ولكنني أضرب هنا مثلاً بشخص واحد أعرفه .

كان هذا الشخص مغرماً بتتبع أعمال الآخرين من اصدقائه ومعارفه ، فكان لا يرى عملاً لغيره منهم إلا بحث عن أسوأ شيء فيه فأبرزه وأغفل النواحي الأخرى الجيدة.

فما أن ينطق أحدهم برأي حتى ينبري له

وينتقي بسرعة أسوأ ما في ذلك الرأي مما يظنه خطأ أو حتى مما يريد أن يبرز أنه خطأ فيركز عليه ويكرره حتى يضمن أن ذلك الرأي قد سقط من نفوس السامعين وأن صاحبه تبعاً لذلك قد سقط قدره أيضاً من نفوسهم وإذا لم يجد في الرأي نفسه عيباً ظاهراً فإنه يركز على عبارات المتكلم فينتقدها ويذكر عدم وقوعها موقعها من الحديث.

ومحبته لتتبع السقطات والغلطات من الآخرين بل الحرص على أن يعد أفعال الآخرين كلها أو أكثرها من السقطات والغلطات وإن لم تكن كذلك قد أوقعته في التناقضات .

فقد حفظ عنه بعض من يعرفه أنه هاجم فكرة أبداها أحد المتحدثين ودلل بكل جهده وقوته على أن تلك الفكرة مجانبة للصواب بل أن

الصواب هو في عكسها تماماً ثم أخذ يفصل زعمه ذلك ويبرره بشواهد ربما لا تنقصها البلاغة في تقدير بعض سامعيه.

وكان ذلك الشخص الذي حفظ عنه مهاجمته تلك الفكرة حاضراً فأبدى له في مناسبة أخرى رأياً مطابقاً لما ذكره هذا المعترض الذي قد جعل من نفسه شخصاً موكلاً بإبراز أخطاء الناس، وذلك من باب اقتناعه بما ذكره المعترض من حجج غير أن المعترض اعترض عليه وأخذ يفند ما كان قد قدمه هو نفسه من حجج منذ زمن غير بعيد ناسياً أن الرجل الذي يرد عليه كان يحفظ عنه ذلك .

فلم يسع صاحبه إلا أن ينفجر فيه ، ويقول له أمام الناس : إن هذه الفكرة هي فكرتك التي سمعتها منك وأنت ترد بها على فلان في

المجلس الفلاني ، وبحضور فلان وفلان .

وكان هذا مدعاة لخجل هذا المعترض على الناس المسفه لآراء كل من أبدى منهم رأياً ولو كان في نفسه يؤمن بصحته .

ويقرب من حالته حالة شخص آخر مولع بالبحث عن العيوب في الأشياء المادية ، ولو اقتضاه ذلك جهداً ووقتاً بل وحرمه من بعض الفوائد والعوائد . فهو لا يرى شيئاً إلا ركز في حديثه وفي ذكره على العيوب فيه وإذا لم يجد عيوباً حقيقية فإنه يلتمس أشياء يظنها عيوباً أو يظهر لمن يسمعه أنها كذلك .

وآخر ما عمله أن رأى أحد إخوانه اشترى سيارة فأخذ يعيبها ويحقرها في عينيه ويكرر ذلك حتى كرهها صاحبه .

وكان له قريب ابتنى بيتاً فلما اكتمل البناء

وقبل أن ينزل فيه أخذ هذا المعترض يطوف مع صاحبه في البيت وهو يذكر لصاحبه عيوبه ويسفه رأيه في كل شيء فيه من ذلك مثلاً قوله:

لماذا صار هذا الباب في هذا المكان ولم يكن في ذلك المكان؟

ولماذا لم تجعل مقدمة البيت أوسع مما هي عليه ؟ الخ .

مستمعي الكريم: لا أريد أن أطيل عليك في شرح ما فعله هذا المعترض الذي جعل نفسه وكيلاً للمنغصات وإبراز العيوب ولكنني أذكر قولة قالها أحد أصدقائه فيه وهو أنه كالذباب الذي يقع على الأذى، وأعيذك بالله أن تكون مثله !

السابع والعشرون

السلام عليكم ورحمة الله :

إن الشعور بالمسئولية من أهم العوامل في أداء الواجبات والابتعاد عن الإساءة إلى مصالح الآخرين.

ولذلك أكد الحديث الشريف هذا المعنى حين قال الرسول ﷺ (كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته) فجاء فيه لفظة العموم كل ثم أكده الرسول ﷺ بأن فصل ذلك حتى قال:

والرجل في بيته راعٍ وهو مسئول عن رعيته وكذلك أخبر ﷺ بأن المرأة راعية في بيت زوجها وهو مسئولة عن رعيتها وختم الحديث بقوله فكلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته .

إذاً المسئولية واقعة على كل فرد من

المسئولين، كل بقدر عمله وطاقته لا يعفى منها أحد .

وإن كانت مسئولية الموظف الكبير تكون أكبر من مسئولية الفرّاش إلا أن ذلك لا يعفي الفراش من مسئوليته عن عمله.

وهذه المسئولية ليست شيئاً مؤقتاً عابراً إذا لم ينتبه لها الموظفون المختصون نسيت وبريء منها صاحبها بل هي مسئولية تبقى أمام المسلم فيسأل عنها يوم القيامة كما قد يُسأل عنها في الدنيا .

فماذا – مستمعي الكريم – لو أن كل واحد وواحدة منا استحضر هذا الحديث الشريف في التأكيد على الشعور بالمسئولية (كلم راع وكلكم مسئول عن رعيته) في آخر يومه .

وقد يكون ذلك قبل نومه ، وسأل نفسه عما فعل في المسئولية الملقاة على عاتقه ماذا عمل في

يومه؟ وهل أخلص في عمله وشعر بالمسئولية أمام الله عنه؟ وهل ساعد فقيراً ؟ أو عاد مريضاً أو نفس عن مكروب ؟

أو على الأقل قام بواجبه في عمله ، أو في بيته في تربية أولاده ، وفي رعاية أهله؟ ثم ماذا فعل من أجل نفسه هل أدى الفرائض والواجبات الدينية على الوجه المطلوب؟ وهل اقترف شيئاً من المحظورات ؟ وهل صان جوارحه من السمع والبصر واليدين والرجلين عن اقتراف الآثام فيما بينه وبين ربه وعن الإساءة بها إلى غيره من الناس وعلى وجه العموم.

ماذا لو عمل الواحد منا بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا) .

أليس ذلك أدعى إلى أن تتذكر من واجبك ما

كنت أُنسيته أو تناسيته؟ وأن تستدرك فيما يأتي من أيامك ما كنت قد فرطت فيه فيما سلف منها؟

ثم إذا ما شعرت بمسئوليتك عن عملك أن تؤديه وأنت مطمئن إلى ذلك معتقد أنك تقوم بواجب مفروض عليك أن تقوم به فتحسن معاملة المتعاملين معك فيه وتقضي حاجات المحتاجين إلى ذلك العمل .

ثم ألا ترى أنك إذا فعلت ذلك والتزمت به قد تكون قدوة حسنة لغيرك، أو على الأقل قد يؤثر فيهم عملك الحسن فيحاولون أن يجاروك فيه فتكون أنت قد تسببت في نقل فعل الخير إلى غيرك ؟

ثم إذا تذكرت أن ولي الأمر هو راع مسئول عن رعيته ومن ذلك أن يصدر أمره بفعل أشياء

يطلب من الناس أن يفعلوها وينهي عن أشياء يطلب منهم أن يجتنبوها فإنك تأتي الأوامر ، وتبتعد عن النواهي مقتنعاً راضياً لأن ذلك من طاعة ولي الأمر الذي تجب عليك طاعته ما لم يأمر بمعصية .

والسلام عليك ورحمة الله .

* * * *

الثامن والعشرون

مستمعي الكريم:

السلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد:

فإنك تعلم كما يعلم غيرك أن بلادنا تنعم – والحمد لله – بازدهار اقتصادي قليل النظير، أو بعبارة أدق بفيض مالي نادر المثيل.

وهي بلاد واسعة شاسعة المسافات مترامية الأطراف فكان من الطبيعي أن نستثمر هذا المال في تطوير البلاد إلى الأحسن وإنشاء المشروعات المختلفة فيها.

وكان طبيعياً أيضاً أن يترتب على ذلك استقدام الألوف المؤلفة من العاملين في تنفيذ تلك المشروعات.

وطبيعي أيضاً أن تتولى المشروعات فيها

شركات تستورد عمالاً وموظفين من غير المسلمين في إنفاذ ما تعهدت بإنفاذه ، ويكون وجودهم بحكم طبيعة عملهم مؤقتاً وقد بلغ عدد العاملين من غير المسلمين في هذه البلاد مبلغاً هائلاً بحيث تجدهم في كل مدينة ، وفي أكثر القرى .

ولا ضير من استقدامهم ما داموا قد دخلوا البلاد بصفة مؤقتة ولمدد محدودة ولكن الشيء الذي لا ينبغي أن يحدث هو أن ينقضي عمل بعضهم بعد أن يقضي في بلادنا مدداً قد تبلغ السنين دون أن نعرض عليه ما في ديننا الإسلامي الحنيف من خير ينبغي أن لا يقتصر علينا بل دون أن نفهمه الدين الإسلامي على وجهه الصحيح بريئاً من تقصير بعض المقصرين من المنتسبين إليه.

إنـه لـيس مـن المطلـوب منـا أن نجعـل كـل مـن أقام في بلادنا من غير المسلمين يعود إلى بلاده وقد أصبح مسلماً فذلك من الهداية التي هي بيد الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ** ﴾ [القصص: من الآية٥٦] ولكن المطلوب منا أن ندعو كل من أقام في بلادنا إلى دين الإسلام عملاً بقوله تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ** ﴾ [النحل: من الآية١٢٥] وليست الدعوة مقتصرة على المتخصصين الحاصلين على الشهادات العالية في الشريعة الإسلامية كما أنها ليست وقفاً على كبار العلماء الذين حصلوا على المنزلة الرفيعة في الدين .

بل الدعوة واجبة على كل مسلم بقدر

استطاعته ويجب على من لا يعرف كيفية شرح محاسن الإسلام ، وبيان مزاياه على الأديان الأخرى أن يسعى للحصول من العارفين بذلك على كتب تفي بهذا الغرض يوزعها على غير المسلمين، وإذا لم يستطع ذلك فيمكنه أن يذهب بنفسه إلى من يتوسم فيه حب الخير والدعوة إلى الله ويخبره بأنه يعرف أناساً غير مسلمين يحتاجون إلى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ويطلب منه أن يقوم بذلك .

أخي المسلم الكريم في هذه البلاد :

إنه لمن التقصير المخجل أن يقضي بعض الناس من غير المسلمين مدة من الزمن تبلغ أشهراً وربما سنوات في بلادنا ولا يجد فيها من يعرض عليه محاسن الإسلام ولو بتوزيع كتاب واحد يشرح له

ذلك .

فمـاذا لـو فـكـر كل مواطن منـا ممن يتصلون بغير المسلمين أو يعملون معهم في هذا الأمر وأخذ على نفسه أن يوصـل كـتاباً إسـلامياً إلى ذلـك الشـخص غير المسلم سـواء أكـان رجـلاً أم امـرأة مثقفاً أو عاملاً.

وقـد يقـول قـائل أو يتسـاءل متسـائل أيـن أجـد الـكتاب الإسـلامي ؟

وهـذا سؤال في محله .

غير أن جوابـه سـهل إذ يقـال لـه إن بإمكـانك أن تتصـل بمـن تتوسـم فـيهم الأهلية لذلـك فتطلـب مسـاعدتهم عـلى هـذا الأمـر . وهـناك إدارات مختصـة مـثل وزارة الشـئون الإسـلامية في الـرياض. ورابطـة العـالم الإسـلامي في مكـة المكـرمة

وكليات الشريعة بل والجامعات الأخرى المنتشرة في أمهات المدن .

وبذلك تكون قد أديت بعض الواجب ، وبلغت ولو بعض البلاغ . والله الموفق .

* * * *

التاسع والعشرون

روى الجاحظ قصة رمزية معناها أن الشجر عقدت مؤتمراً موسعاً تدارست فيه موضوع الفأس الذي يفلق رؤوسها ويجتث أصولها قائلة: ماذا نصنع به ؟ وكيف نتقي شره ؟

وقد تفرقت آراء الشجر في هذا الأمر، وكل واحدة منها أدلت بدلوها في البحث فعرضت ما رأت أنه الوسيلة الكافية لصد شره عنها.

ولم يبق منها إلا شجرة ضخمة الجذع ذاوية الفرع قد تحاتت أوراقها من الكبر، وعقمت عن إنتاج الفروع الفتية .

وكانت الشجر تعرفها بالحكمة في التصرف ، والإصابة في الرأي فطلبت منها أن تبين رأيها في هذا الأمر .

فنكست فروعها علامة التفكير ثم رفعتها علامة الاستعداد للنطق بأمر مهم وقالت:

أقول لكم أيها الشجر إن الفأس لا تعمل فيكم شيئاً إلا إذا ساعدتموها.

فعلت الدهشة قشور الشجر وقالت بصوت يكاد يكون واحداً:

وكيف يكون ذلك؟

فقالت الشجرة الحكيمة : ذلك أن الفأس لا تستطيع أن تعمل فيكم شيئاً أو تقطع منكم حتى الغصن الضعيف إلا إذا دخل فيها شيء من الشجر منكم أنتم .

وهنا تنبهت الشجر كلها إلى الأمر وعرفت أن المراد بذلك هو نصاب الفاس أو يدها الخشبية كما يسميها بعض الناس .

هذه هي القصة الرمزية ، وهي قصة تصلح

أن تقال في عديد من الموضوعات الكبيرة والصغيرة التي مرجع الضّرر فيها إلى عمل بعض المنتمين إليها .

فمثلاً لولا بعض الأشخاص الذين يساعدون الأجانب على بني قومهم لما استطاع أولئك الأجانب أن يفعلوا فيهم ما فعلوا في أكثر الأحيان.

ولولا بعض الأشخاص العاملين في نواح من العمل وهم يد الفأس التي تنخر فيه لما أصيب ذلك العمل بالضرر.

وهكذا حتى في المرافق العامة التي يضعها المسؤولون لخدمة الناس قد يكون من بين المنتفعين منها من يكون يد الفأس في تعطيلها.

فمثلاً تعليمات المرور التي منها عدم وقوف السيارات في أماكن معينة لكون وقوفها فيها

يعرقل حركة السير وربما يعيقها تماماً إذا خالفها أحدهم فإنه بذلك يكون يد الفأس التي تهدم النظام الموضوع لتسهيل المرور .

والذين يضعون مخلفات البناء أو أية عوائق أخرى في طريق المسلمين هم كذلك كالذي يحاول هدم المصلحة العامة .

والموظف الذي يكون عمله في جهاز مهم متعلق بالجمهور فلا يؤدي عمله كما ينبغي يكون كيد الفأس التي تهدم ذلك الجهاز . بل إن الذي لا يتعاون مع إخوانه المسلمين على المصلحة العامة وعلى تنفيذ الأوامر التي يصدرها ولي الأمر هو أيضاً من أيدي الفاس المخربة .

فحذار أيها المستمع الكريم من أن تكون أنت يد الفأس التي تهدم مصالحك ومصالح إخوانك المسلمين والسلام عليك ورحمة الله .

الثلاثون

والوقود وأشياء أخرى

وفي هذا الحديث نواصل ما ذكرناه قبله من لطف الله الخفي بالناس الذي لم يكن يخطر على بال أحد منهم في العصور القديمة ولا يعلمون به على وجه التعيين وإنما قرأوا في القرآن الكريم إشارات إليه وذلك في قوله تعالى : **﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾** [النحل:٨] فالجملة الواضحة من الآية الكريمة وهي **﴿وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾** وردت بعد ذكر الخيل والحمير والبغال فدل ذلك على أن المراد به التي هي من جنسها بجامع كونها تركب وهو ما نراه بين أيدينا ، مع أن الإعجاز القرآني يدل على أنه لا تزال توجد مراكب لم نكن نعلمها تكون فيما يأتي من

الزمان وذلك ظاهر .

وأما المعجزة في ذكر الزينة من المركوبات فإننا نرى منها الآن أن المركوبات الحاضرة لم يقتصر الأمر فيها على أن تكون صالحة للركوب والانتقال وإنما بالغ صانعوها في زينتها والتأنق في مظهرها حتى أصبحت أو أصبح بعضها تحفاً تمشي على الأرض.

وهناك شيء آخر ربما يظهر لأول وهلة أنه تافه وليس مهماً كأهمية المركوبات وهو الوقود اللازم للإنسان في طبخ طعامه وإدامه، وأشياء كثيرة مما يحتاجه في غير الطعام والشراب .

لقد كنت أسمع عندما كنت في العاشرة من عمري وذلك في عام ١٣٥٥هـ وما بعده بنحو عشرين سنة قول كثير من الأشياخ المفكرين في بلادنا النجدية الجرداء: إن قطع الأشجار للوقود

قـد ألـح عليه الـناس حـتى لم تـكـن تـبقى أشـجار يوقد بها الناس ويقولون إن أعداد السكان تتزايد وحاجـتهم للوقـود تـتزايد فمـن أيـن يسـتطيعون أن يجدوا الوقود اللازم لطبخ الطعام؟ وبالتالي كيف يعيشون؟

ولم يـدر في خلـد أحـد منهم إن في عـلم اللّه أن يوجـد شـيء غـير الحطـب يكفـي للطـبخ للـناس كـلهم في هــذه الـبلاد ويصــدر مـنه إلى الـبلدان الأخـرى وهـو (الغاز) الـذي صـار الناس يستعملونه بديـلاً مـن الحطـب وهـو أنظـف واسـرع وأفضل من الحطب.

وشـاهد آخـر وهـو أنـه كـان زارنـا في مـنطقة القصيم شخص سعودي من المولودين خارج بلادنا وكـان يـتقلد منصـب مديـر عـام الـزراعة قـبل أن تصـبح وزارة وكـانـت الأمـور المـتعلقة بالمـياه مـنذ

ذلك التاريخ تابعة للإدارة المذكورة وكان مجيئه إلى القصيم في زيارة عمل تتعلق بتشجيع الفلاحين على استعمال الآلات الحديثة في الزراعة .

وقد عقدنا معه جلسة باح لنا أثناءها بما اعتبره سراً عظيماً وهو قوله : إن الخبراء يقولون: إن المياه الجوفية الموجودة في مدينة الرياض لا تكفي المدينة إلا لسنتين اثنتين فقط.

قال: ونحن الآن حائرون ماذا نصنع بعد سنتين حتى إن بعض المسئولين في الإدارة عندنا قال: ينبغي أن نقترح أن تكون العاصمة في الخرج حيث تتوافر المياه : قال: غير أننا لم نجرؤ على التقدم بهذا الاقتراح .

واليوم أنا أرى مدينة الرياض قد تضاعف سكانها عشرات المرات عنهم في عام ١٣٧٣ وزادت مساحتها عما كانت عليه آنذاك مثل ذلك

ينـبغي أن نقـترح أن تكـون العاصـمة في الخـرج حيث تتوافر المياه : قال: غير أننا لم نجرؤ على التقدم بهذا الاقتراح .

واليوم أنا أرى مدينة الرياض قد تضاعف سكانها عشرات المرات عنهم في عام ١٣٧٣ وزادت مساحتها عما كانت عليه آنذاك مثل ذلك بل أكثر منه لأن معظم الأسر صارت تسكن في بيوت أوسع وافسح مما كان يسكنه آباؤهم فيها ، أرى جازماً أن مجموعة من البيوت في ركن من حي من أحياء مدينة الرياض الكبيرة تستهلك من المياه أكثر مما كانت مدينة الرياض كلها تستهلك منها في عام ١٣٧٣هـ.

فقد يسر الله سبحانه وتعالى المال وحسن التدبير لتوفير المياه لسكان مدينة الرياض من الآبار العميقة ثم جاءت مسألة تحلية مياه البحر

فأمدت الرياض الحديثة العظيمة الواسعة بحاجتها من المياه حتى صارت أكثر البيوت لا تخلو من أشجار أو ساحات خضراء وكأنما هي من بلاد الأنهار.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى:٢٨].

قال ابن الرومي:

إن لله غير مرعاك مرعى
نرتعيه وغير مائك ماءَ
إن لله في البرية لطفاً
سبق الأمهات والآباء

* * * *

الفهرس

* * * *